وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة ديالى -كلية العلوم الإسلامية

قسم العقيدة والفكر الإسلامي

مادة السيرة النبوية

المرحلة الأولى

الكورس الثاني

أستاذة المادة

م.م فريال عبد كريم

2025/2024

تعريف السيرة النبوية وأهميتها ومميزاتها ومصادرها وبعض مؤلفاتها

•السيرة لغة: تطلق السيرة في اللغة على السُنّة، والطريقة، والحالة التي يكون عليها الإنسان، واستخدم القرآن هذا المعنى حيث ورد في سورة طه الآية 21: قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى .

•اصطلاحاً: «هي ما نُقل إلينا من حياة النبي محمد صلى الله عليه واله وسلم منذ ولادته قبل البعثة وبعدها وما رافقها من أحداث ووقائع حتى موته.» وتشتمل ميلاده ونسبه، ومكانة عشيرته، وطفولته وشبابه، ووقائع بعثته، ونزول الوحي عليه، وأخلاقه، وطريقة حياته، ومعجزاته التي أجراها الله على يديه، ومراحل الدعوة المكية والمدنية، وجهاده وغزواته.

وقد تكون السيرة مرادة لمعنى السنة عند علماء الحديث، وهو ما أضيف إلى النبي من قول أو فعل أو تقرير أو صفة. كما تعني عند علماء العقيدة وأصول الدين طريقة النبي وهديه، أما عند علماء التاريخ فإنها تعني أخباره ومغازيه.

النطاق الزماني

تشمل السيرة النبوية في نطاقها الزماني من ولادة النبي محمد عام الفيل حتى وفاته في الثاني عشر من شهر ربيع الأول من السنة الحادية عشرة للهجرة، وهي في مجملها ثلاث وستون سنة، وهي بالميلادي (571 – 632 م).

النطاق المكاني

ولد النبي محمد في مكة وبها عاش أكثر سنين حياته، فيها نزل عليه الوحي وهو في الأربعين من العمر، ولم يهاجر منها إلى المدينة المنورة إلا في الثالثة والخمسين من عمره، وفي المدينة عاش بقية حياته البالغة عشر سنين أو تزيد، وبالإضافة إلى مكة والمدينة فقد خرج النبي إلى الطائف مرتين قبل الهجرة النبوية وبعد فتح مكة، كما خرج إلى تبوك في أواخر حياته، وعلى هذا فيمكن اعتبار الحجاز بشكل عام هو النطاق المكاني لسيرته، وعلى هذا الأساس يمكن اعتبار هذه الرقعة هي النطاق المكاني الأصغر للسيرة النبوية، أما النطاق الأكبر فهو شبه جزيرة العرب، إذ لم يلتحق النبي محمد بالرفيق الأعلى إلّا وقد دانت لدعوته بأكملها، وقدمت إليه وفودها، وبلغت نواحيها ولاته وعماله.

اهمية السيرة النبوية الشريفة

للسيرة النبوية أهمية عظيمة في مسيرة الحياة البشرية بشكل عام، وفي حياة المسلم بشكل خاص وذلك لأنها تعين على أمور عديدة، منها :

•أولاً : فهم القرآن :

فالقرآن نزل مُنجّمًا، تعقيبًا على الأحداث، أو تبيينًا لإشكال، أو ردًا على استفسار، أو تحليلاً لموقف من مواقف السيرة، كما حدث في مواقع بدر وأُحد والأحزاب وتبوك، وكما حدث في صلح الحديبية، وحادث الإفك وغيرها من الحوادث والمشاهد . وقراءة هذه المواقف من السيرة تساعدك في فهم ملابسات الحدث، وخلفيات الموقف، وطبيعته من الناحية المكانية والزمانية .

•ثانيًا : فهم السُّنّة:

فأحيانًا تَردُ مواقفُ السيرةِ في كُتب الحديث بشكل مقتضب جدًا، وأحيانًا يذكر أصحابُ المتون موقفًا أو موقفين في غزوة كاملة، الأمر الذي يدفع إلى مطالعة السيرة النبوية للوقوف على ملابسات الحدث وخلفياته وزمنه ومكانه، مما يعينه على فه واستجلاء صورته الحقيقية .

•ثالثًا : فهم العقيدة الإسلامية:

وذلك من خلال السلوك العملي للنبي عبر مسيرته الحافلة بمواقف الإيمان والثبات في مواجهة المحن والإيذاء والمساومات، وتفنيد الشبه والادعاءات التي كان يثيرها المشركون والمنافقون حول توحيد الألوهية، والبعث بعد الموت، والجنة والنار، والوحي والنبوة، وغيرها من المحاور العقدية العظمى، التي تناولتها السيرة النبوية بشكل جامع مانع .

•رابعًا : التأسي بالنبي :

فهي تساعد على الاقتداء به في أخلاقه وسلوكه وجميع أحواله، مع أهله وأصحابه ومع أعداءه أيضاً، قال الله - تعالى - : " لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً " [الأحزاب:21] .

•خامسًا : مَحبة النبي :

وفهم سيرته من أكبر ما يقوي محبته في النفوس، ولأن محبته من الإيمان، قال تعالى - : قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّى يَأْتِيَ اللهُ بِأَمْرِهِ وَاللهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ " [التوبة:24]، وقد قال النبي – صلى الله عليه واله وسلم - : « لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ » [البخاري : 15، عن أنس] .

سادسًا : محبة الصحابة – رضي الله عنهم وأهل البيت عليهم السلام :

فمن السيرة تعرف قدْرَ أبي بكر ، وبذل عمر ، وبلاء عثمان، وشجاعة علي، ، وصبر خباب، وثبات بلال، واجتماعية الطفيل، واقتصادية ثمامة، وكرم أبي أيوب، وفقه معاذ، وهمة ابن الجموح، وفدائية ابن جحش، وقرآنية ابن مسعود، وصدق أبي ذر، وأمانة أبي عبيدة، وعبقرية

الحباب، وحفظ أبي هريرة، ودهاء عمرو، وخطابة سهيل، وفروسية الزبير، وصمود سماك وأناقة دحية، ولباقة ابن حذافة، وذكاء سلمان، وغيرهم، من الصحابة – رضوان الله تعالى عليهم جميعًا -، فضلاً عن فَضلِ أمهات المؤمنين، فمن السيرة تعرف سَبْقَ خديجة، وعِلْمَ عائشة، وفضل سودة، وبركة جويرية، وغيرهن من أمهات المؤمنين – رضي الله عنهن جميعًا -، وترى في السيرة جهادَ الصحابيات؛ وقد ضربن المثل في التضحية والبذل من أجل دين الله، فستعرف فيها: فضل سمية أيام مكة، وفضل أسماء يوم الهجرة، وفضل نسيبة بنت كعب يوم أُحد، وفضل غيرهن من الصحابيات الجليلات .

مميزاتها

مزايا السيرة النبوية

تمتاز السيرة النبوية بعدة مزايا تبعث الثقة والطمأنينة بأحداثها، ووقائعها، ومنها :

•صحتها:

تعدّ السيرة النبوية أصح سيرة لتاريخ نبي مرسل عرفته البشرية حتى يومنا هذا حيث وصلت إلينا أحداثها الثابتة من أصح الطرق، وأقواها ثبوتاً، وذلك لأن القرآن الكريم ذكر جانباً كبيراً ومهماً من أحداثها، ووقائعها، كسيرته في بعض غزواته، وعلاقاته مع أصحابه وبعض زوجاته، كما نقلت السنة جزءاً كبيراً من أحداثها، وحظيت بعناية فائقة من العلماء، لتمييز صحيحها من سقيمها، كما أن كُتّاب السيرة والمؤلفين فيها اعتمدوا الطريقة الموضوعية في تدوين أحداثها، وهي الطريقة العلمية في نقل الأخبار القائمة على دراسة الأسانيد والمتون ونقدها، ولم يقحموا تصوراتهم الفكرية، أو انطباعاتهم الشخصية، في شيء من وقائعها.

•وضوحها:

وذلك لكونها عرضت سيرة الرسول في جميع مراحلها، منذ زواج أبيه بأمه إلى وفاته بشكل مفصّل ودقيق مقرونة بسنوات حدوثها، دون انقطاع أو غموض، فهو كما قال بعض النقاد الغربيين: "إن محمداً هو الوحيد الذي ولد في ضوء الشمس".

•واقعيتها :

بالرغم مما أكرم الله به نبيه من المعجزات الباهرة، وحقق له من الانتصارات والنجاحات ما لم يحققه لغيره من البشر، فإن ذلك لم يخرجه عن بشريته وإنسانيته، أو تجعل حياته كالأساطير، ولم يحط بهالة من التقديس، تضفي عليه أوصاف الألوهية، بل كانت سيرته متوازنة في عرضها لحياته، فذكرت مواطن الثناء عليه، وذكرت مواطن العتاب له من الله تعالى .

•شمولها:

تشمل سيرة النبي صلى الله عليه واله وسلم كل النواحي الإنسانية، الفردية والجماعية، فهي تحكي الجوانب الاجتماعية من حياته؛ كزواجه، وعلاقاته بزوجاته وأهله، كما تتحدث عن الجوانب الشخصية؛ كيتمه، وشبابه، واستقامته وتجارته، وتتحدث عن جوانب دعوته وما كابده في سبيل تبليغها، وتتحدث عن الجوانب السياسية والإدارية، في سياسة أمته ورعاية مصالحها، وعن الجوانب العسكرية، وسيرته في أعدائه وعلاقاته بهم.

مصادرها

•القرآن الكريم

•كتب التفاسير وأسباب النزول

ومن أهمها : تفسير القرطبي، تفسير ابن كثير، جامع البيان في تأويل آي القرآن للطبري، فتح القدير للشوكاني.

•كتب الناسخ والمنسوخ

ومن أهمها : الناسخ والمنسوخ لعبد القاهر البغدادي، الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم لابن حزم، نواسخ القرآن لابن الجوزي، ناسخ القرآن ومنسوخه للبارزي .

• كتب الحديث وشروحها

ومن أهمها : الكتب الستة وفي مقدمتها صحيح البخاري وصحيح المسلم

•كتب الرجال والتراجم والطبقات

ومن أهمها : الطبقات الكبرى لابن سعد، الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر، أسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الأثير .

•كتب التاريخ

ومن أهمها : تاريخ الأمم والملوك، للإمام الطبري ، تاريخ خليفة بن خياط العصفري، الكامل في التاريخ لابن الأثير ، البداية والنهاية لابن كثير ، تاريخ الإسلام للذهبي.

بعض مؤلفات السيرة النبوية

•مؤلفات القرنين الأول والثاني الهجريين:

oصحف عروة بن الزبير (ت 92 هـ) (مفقودة).

oصحف أبان بن عثمان بن عفان (ت 105 هـ) (مفقودة).

oالسيرة لابن شهاب الزهري (ت 120 هـ) (مفقود).

oمغازي موسى بن عقبة (ت 141 هـ).

oابن إسحاق (ت 151هـ) (جمعها ابن هشام).

•مؤلفات القرن الثالث الهجري:

oسيرة ابن هشام : عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المصري (ت 218 هـ).

oمغازي الواقدي : محمد بن عمر الواقدي (ت 207 هـ).

•مؤلفات القرن الرابع الهجري:

oالسيرة من كتاب تاريخ الأمم والملوك : محمد بن جرير الطبري (ت 310).

oالسيرة من كتاب مروج الذهب : علي بن الحسين المسعودي (ت 346 هـ).

oالسيرة النبوية وأخبار الخلفاء : محمد ابن حبان التميمي البستي (ت 354 هـ).

oأسماء رسول الله ومعانيها : أحمد بن فارس (ت 395 هـ).

•مؤلفات القرن الخامس الهجري:

الدرر في اختصار المغازي والسير : أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد ابن عبد البر النَّمَري (ت 463 هـ).

oجوامع السيرة ، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد ابن حزم (ت 456 هـ).

•مؤلفات القرن السادس الهجري

الروض الأنف : عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد الخثعمي السُّهيلى الأندلسي (ت 581 هـ).

oتلقيح فهوم أهل الأثر في عيون التواريخ والسير : أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي (ت 597 هـ).

•مؤلفات القرن السابع الهجري:

الاكتفاء في مغازي رسول الله والثلاثة الخلفاء : أبو الربيع سليمان بن موسى الكلاعي الأندلسي (ت 634 هـ).

oتهذيب السيرة النبوية : يحيى بن شرف النووي (ت 676 هـ).

oالرسالة الكاملية في السيرة النبوية : ابن النفيس (ت 687 هـ).

•مؤلفات القرن الثامن الهجري:

عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير : أبو الفتح محمد بن محمد بن سيد الناس (ت 734 هـ).

oالمغازي : أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (748 هـ).

oالفصول في سيرة الرسول : ابن كثير الدمشقي (774 هـ).

oتوثيق عرى الإيمان في تفضيل حبيب الرحمن : هبة الله بن عبد الرحيم أبي القاسم شرف الدين بن البارزي (ت 738 هـ).

الأرض والحدائق في تهذيب سيرة سيد الخلائق : علي بن محمد البغدادي المعروف بالخازن (ت 741 هـ).

oالدرة المضيئة في السيرة المرضية : ابن شاهين غرس الدين خليل الله الظاهري (ت 783 هـ).

oنور العيون في تلخيص سيرة الأمين المأمون لابن سيد الناس محمد ابن محمد اليعمري (ت 734 هـ).

oزاد المعاد في هدي خير العباد لابن قيم الجوزية (ت 751).

•مؤلفات القرن التاسع الهجري:

oنور النبراس في شرح سيرة ابن سيد الناس : سبط ابن العجمي (ت 841 هـ).

oإمتاع الأسماع بما للرسول من الأبناء والأموال والحفدة والمتاع : أحمد ابن علي المقريزي (ت 845 هـ).

oمختصر السيرة : ابن حجر العسقلاني (852 هـ) .

•مؤلفات القرن العاشر الهجري:

اقتباس الاقتباس لحل مشكل سيرة ابن سيد الناس : يوسف بن حسن الحن (ت 909 هـ).

- المواهب اللدنية بالمنح المحمدية : شهاب الدين القسطلاني (ت 923 هـ).
- سُبُل الهدى والرَّشاد في سيرة خير العباد : محمد بن يوسف بن علي الصَّالحي الشامي (ت 942 هـ).
- قرة الأبصار في سيرة المشفع المختار : عبد العزيز بن عبد الواحد اللمطي الفاسي (منظومة) (ت 964 هـ).
- حدائق الأنوار ومطالع الأسرار في سيرة النبي المختار" : محمد بن عمر الحضرمي (ت 930 هـ).

• مؤلفات القرن الحادي عشر الهجري:

- إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون : علي بن إبراهيم بن أحمد الحلبي (ت 1044 هـ).

• مؤلفات القرن الثاني عشر الهجري:

- نفائس الدرر في أخبار سيد البشر : مسعود بن محمد جموع الفاسي (منظومة) (ت 1119 هـ).
- مواهب المجيب في خصائص الحبيب : أحمد بن علي العدوي الدمشقي (منظومة) (ت 1172 هـ).

• مؤلفات القرن الثالث عشر الهجري:

- مولد النبي ومعجزاته : محمد أمين الجندي (ت 1270 هـ).
- عصمة الأبياء : أحمد المرزوقي المالكي (ت 1281 هـ).

•مؤلفات القرن الرابع عشر الهجري:

- سعادة الدارين في منحة سيد الدارين : أحمد البخاري الدمياطي (منظومة) (ت 1309 هـ).

o النظم البديع في مولد الشفيع : يوسف إسماعيل النبهاني (منظومة) (ت 1350 هـ).

o السيرة النبوية والآثار المحمدية : أحمد بن زيني دحلان الحسني (ت 1304 هـ).

o نور اليقين في سيره سيد المرسلين : محمد الخضري بك (ت 1345 هـ).

- 'مؤلفات القرن الخامس عشر الهجري:

o الرحيق المختوم : صفي الرحمن المباركفوري (ت 1427 هـ).

o فقه السيرة : محمد الغزالي (ت 1416 هـ)

o السيرة النبوية : للدكتور محمد أبو شهبة.

o فقه السيرة النبوية : للدكتور محمد سعيد رمضان البوطي .

" حالة الجزيرة العربية " قبل الإسلام.

كانت الجزيرة العربية قبل مجيء الإسلام في شر حال ، فلما امتنَّ عليهم بالإسلام ، وصاروا من أهله ، وأبنائه : صار أهل الجزيرة في خير حال ، فقد سادوا الأمم ، وأصبحوا خير أمة أخرجت للناس .

ويتمثل السوء الذي وُجد في الجزيرة العربية قبل الإسلام في مظاهر كثيرة ، لا نستطيع حصرها في هذه المحاضرة لكثرتها ، ولا يمنع هذا أن نذكر أبرز تلك المظاهر ، ومنها :

أ. في جانب العقيدة :

1. كان العرب يعبدون الأصنام ، ويتقربون لها ، ويذبحون عندها ، ويعظمونها التعظيم كله ، وهي من صنع أناسٍ مثلهم من البشر ، وأحياناً تكون من صنع أيديهم ، من التمر ، أو الطين ، أو غيرها ، وكان عدد الأصنام التي حول الكعبة المشرفة حوالي 360 صنماً .

قال تعالى واصفاً أولئك الجاهليين : (وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لا يَضُرُّهُمْ وَلا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ) يونس/ 18 .

2. وكانوا يتطيرون : فإذا أراد أحدهم زواجاً ، أو سفراً ، أو تجارة : ألقى طيراً في السماء ، فإن ذهب يميناً : مضى في أمره ، واعتقد فيه الخير والنفع ، وإن ذهب الطير شمالاً : أحجم عن أمره ، وترك المضي فيه ، واعتقد فيه الشرَّ ! .

وكانوا يتشاءمون : فإذا سمع أحدهم صوت بومة ، أو رأى غراباً : ضاق صدره ، واعتقد أنه سيصيبه ضرر أو أذى في يومه ، وكانوا لا يتزوجون في شوال ؛ اعتقاداً منهم بأنه لن يكتب له النجاح .

3. كان ولاء أهل الجزيرة العربية يتوزع على القوى العظمى في زمانهم ، فبضعهم ولاؤه للروم ، وآخرون للفرس ، وثالث للحبشة .

ب. في جانب الأخلاق والسلوك والعادات :

أ. كان العرب في الجاهلية يغزو بعضهم بعضاً ، ويقتل بعضهم بعضاً ، لأتفه الأسباب ، وتطول الحروب بينهم لأعوامٍ عديدة ، فيُقتل الرجال ، وتُسبى النساء والأطفال .

ومن ذلك : " حرب البسوس " وقد دامت ثلاثين سنة ، بسبب أن ناقة وطئت بيضة " قبَّرة " – نوع من أنواع الطيور - فكسرتها ، ومنها : " حرب داحس والغبراء " ، وقد دامت أربعين سنة ، بسبب أن فرساً غلبت أخرى في الجري .

ب. كانوا لا يتنزهون عن الخبائث ، ومنها أنهم كانوا يأكلون الميتة ، ويشربون الدم .

ج. كان غير القرشيين يطوفون بالكعبة عراة نساء ورجالاً ، إن لم يمن عليهم القرشيون بثياب من عندهم ، ويعتقدون أن ثياباً عصي الله فيها لا تصلح أن يطاف بها ، وتقول قائلتهم :

اليوم يبدو كله أو بعضه وما بدا منه فلا أحلُّه !!

د. وكان الزنا منتشراً بينهم ، وكذا آثاره ، ومن أعظمها : نسبة الولد لغير الزوج.

عن عَائِشَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قالت : إِنَّ النِّكَاحَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ كَانَ عَلَى أَرْبَعَةِ أَنْحَاءٍ :

فَنِكَاحٌ مِنْهَا : نِكَاحُ النَّاسِ الْيَوْمَ يَخْطُبُ الرَّجُلُ إِلَى الرَّجُلِ وَلِيَّتَهُ أَوْ ابْنَتَهُ فَيُصْدِقُهَا ثُمَّ يَنْكِحُهَا .

وَنِكَاحٌ آخَرُ : كَانَ الرَّجُلُ يَقُولُ لِامْرَأَتِهِ إِذَا طَهُرَتْ مِنْ طَمْثِهَا أَرْسِلِي إِلَى فُلَانٍ فَاسْتَبْضِعِي مِنْهُ وَيَعْتَزِلُهَا زَوْجُهَا وَلَا يَمَسُّهَا أَبَدًا حَتَّى يَتَبَيَّنَ حَمْلُهَا مِنْ ذَلِكَ الرَّجُلِ الَّذِي تَسْتَبْضِعُ مِنْهُ فَإِذَا تَبَيَّنَ حَمْلُهَا أَصَابَهَا زَوْجُهَا إِذَا أَحَبَّ وَإِنَّمَا يَفْعَلُ ذَلِكَ رَغْبَةً فِي نَجَابَةِ الْوَلَدِ فَكَانَ هَذَا النِّكَاحُ نِكَاحَ الِاسْتِبْضَاعِ .

وَنِكَاحٌ آخَرُ : يَجْتَمِعُ الرَّهْطُ مَا دُونَ الْعَشَرَةِ فَيَدْخُلُونَ عَلَى الْمَرْأَةِ كُلُّهُمْ يُصِيبُهَا فَإِذَا حَمَلَتْ وَوَضَعَتْ وَمَرَّ عَلَيْهَا لَيَالٍ بَعْدَ أَنْ تَضَعَ حَمْلَهَا أَرْسَلَتْ إِلَيْهِمْ فَلَمْ يَسْتَطِعْ رَجُلٌ مِنْهُمْ أَنْ يَمْتَنِعَ حَتَّى يَجْتَمِعُوا عِنْدَهَا تَقُولُ لَهُمْ قَدْ عَرَفْتُمْ الَّذِي كَانَ مِنْ أَمْرِكُمْ وَقَدْ وَلَدْتُ فَهُوَ ابْنُكَ يَا فُلَانُ تُسَمِّي مَنْ أَحَبَّتْ بِاسْمِهِ فَيَلْحَقُ بِهِ وَلَدُهَا لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَمْتَنِعَ بِهِ الرَّجُلُ .

وَنِكَاحُ الرَّابِعِ : يَجْتَمِعُ النَّاسُ الْكَثِيرُ فَيَدْخُلُونَ عَلَى الْمَرْأَةِ لَا تَمْتَنِعُ مِمَّنْ جَاءَهَا وَهُنَّ الْبَغَايَا كُنَّ يَنْصِبْنَ عَلَى أَبْوَابِهِنَّ رَايَاتٍ تَكُونُ عَلَمًا فَمَنْ أَرَادَهُنَّ دَخَلَ عَلَيْهِنَّ فَإِذَا حَمَلَتْ إِحْدَاهُنَّ وَوَضَعَتْ حَمْلَهَا جُمِعُوا لَهَا وَدَعَوْا لَهُمْ الْقَافَةَ ثُمَّ أَلْحَقُوا وَلَدَهَا بِالَّذِي يَرَوْنَ فَالْتَاطَ بِهِ وَدُعِيَ ابْنَهُ لَا يَمْتَنِعُ مِنْ ذَلِكَ .

فَلَمَّا بُعِثَ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْحَقِّ هَدَمَ نِكَاحَ الْجَاهِلِيَّةِ كُلَّهُ إِلَّا نِكَاحَ النَّاسِ الْيَوْمَ .

رواه البخاري (4834) .

(فيُصدقها) : يجعل لها مهراً . (طمثها) : حيضها . (فاستبضعي منه) : اطلبي منه المباضعة ، وهي المجامعة . (نجابة الولد) : أي ليكون نفيساً في نوعه ، وكانوا يطلبون ذلك من أشرافهم ، ورؤسائهم ، وأكابرهم . (الرهط) : ما دون العشرة من الرجال . (يصيبها) : يجامعها . (البغايا) : جمع بغي وهي الزانية . (رايات) جمع راية وهي شيء يرفع ليلفت النظر . (علماً) : علامة . (القافة) : جمع قائف ، وهو الذي ينظر في الملامح ويُلحق الولد بمن يرى أنه والده . (فالتاط به) : فالتحق به ، والتصق .

هـ. وكانوا يقتلون أولادهم بسبب ما هم فيه من فقر ، وبسبب خوفهم من الوقوع في الفقر ، وكان بعضهم يدفنون بناتهم خشية وقوعهن في الأسر ، وجلب العار لهم ، قال تعالى : (وَلا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُمْ مِنْ إِمْلاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ) الأنعام/ من الآية 151 ، وقال تعالى : (وَلا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئاً كَبِيراً) الإسراء/ 31 ، وقال عز وجل : (وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدّاً وَهُوَ كَظِيمٌ . يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ) النحل/ 58 ، 59 .

و. كان عندهم الفخر بالآباء والنسب ، حتى إنهم ليذكرون آباءهم ويفتخرون بهم في موسم الحج ، وأثناء إقامة شعائره .

عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم : (إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ أَذْهَبَ عَنْكُمْ عُبِّيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ وَفَخْرَهَا بِالآبَاءِ ؛ مُؤْمِنٌ تَقِىٌّ ، وَفَاجِرٌ شَقِىٌّ ؛ أَنْتُمْ بَنُو آدَمَ وَآدَمُ مِنْ تُرَابٍ ، لَيَدَعَنَّ رِجَالٌ فَخْرَهُمْ بِأَقْوَامٍ إِنَّمَا هُمْ فَحْمٌ مِنْ فَحْمِ جَهَنَّمَ ، أَوْ لَيَكُونُنَّ أَهْوَنَ عَلَى اللَّهِ مِنَ الْجِعْلاَنِ الَّتِى تَدْفَعُ بِأَنْفِهَا النَّتْنَ) .

رواه الترمذي (3955) وأبو داود (5116) .

العبية : الكبر والفخر .

الجِعلان : دويبة سوداء ، كالخنفساء تدير الخراء بأنفها .

ز. وكانوا يتعاملون بالربا ، على أشكال وأصناف وصور متنوعة .

وقد أجمل جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه حالهم في الجاهلية فقال أمام النجاشي في الحبشة لما هاجر إليها : " كنَّا قوماً أهل جاهلية ، نعبد الأصنام ، ونأكل الميتة ، ونأتي الفواحش ، ونقطع الأرحام ، ونسيء الجوار ، ويأكل القويُّ منا الضعيف " رواه أحمد (3 / 265) وحسنه محققو المسند .

ح. المرأة في الجاهلية :

وقد تعرضت المرأة لأبشع صنوف العذاب ، والإهانة ، والتحقير ، في الجاهلية ، ويتمثل ذلك في صور كثيرة – وهذا غير الوأد الذي ذكرناه من بعض أفعال العرب : -

1. كانت المرأة تُحرم من الميراث مطلقاً ، فلا نصيب لها فيما يتركه ولدها ، أو والدها ، أو أمها من مال ، ولو عظم ، بل كانوا يعاملونها على أنها سلعة تورث ! وإلى ذلك الإشارة في قوله تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهاً) النساء/ 19 .

روى البخاري (4303) عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَولَه : كَانُوا إِذَا مَاتَ الرَّجُلُ كَانَ أَوْلِيَاؤُهُ أَحَقَّ بِامْرَأَتِهِ ، إِنْ شَاءَ بَعْضُهُمْ تَزَوَّجَهَا ، وَإِنْ شَاءُوا زَوَّجُوهَا ، وَإِنْ شَاءُوا لَمْ يُزَوِّجُوهَا ، فَهُمْ أَحَقُّ بِهَا مِنْ أَهْلِهَا ، فَنَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ فِى ذَلِكَ .

2. وكانوا يجبرونهن على الزواج بمن يكرهن، أو يمنعونهن من الزواج

3. وكان الأزواج يعلقون أمر زوجاتهم، فلا هي زوجة له ولا هي تستطيع الزواج بغيره ، ومن ذلك : أنه كان يحرمها على نفسه ، ويجعلها كأمه ، أو أخته ، أو يحلف أن لا يجامعها ، فتصير معلقة ، فجاء الإسلام بتحريم الظهار ، وبوضع أمدٍ لمن أقسم أن لا يجامع زوجته ، وجعل ذلك إلى أربعة أشهر ، فإما أن يكفر عن يمينه ويجامعها ، أو يجبر على تطليقها ، وهو ما يسمَّى " الإيلاء " ، وهو

المذكور في قوله تعالى : (لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِنْ فَاءُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ . وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) البقرة/ 226 ، 227 .

4. ولنقرأ ماذا كانت تفعل الزوجة بعد وفاة زوجها :

قَالَتْ زَيْنَبُ بنت أبي سلمة : كَانَتِ الْمَرْأَةُ إِذَا تُوُفِّيَ عَنْهَا زَوْجُهَا دَخَلَتْ حِفْشًا ، وَلَبِسَتْ شَرَّ ثِيَابِهَا ، وَلَمْ تَمَسَّ طِيبًا حَتَّى تَمُرَّ بِهَا سَنَةٌ ، ثُمَّ تُؤْتَى بِدَابَّةٍ حِمَارٍ أَوْ شَاةٍ أَوْ طَائِرٍ فَتَفْتَضُّ بِهِ ، فَقَلَّمَا تَفْتَضُّ بِشَيْءٍ إِلاَّ مَاتَ ، ثُمَّ تَخْرُجُ فَتُعْطَى بَعَرَةً فَتَرْمِى .

رواه البخاري (5024) ومسلم (1489) .

والحِفش : البيت الصغير .

تفتض : تمسح به جلدها .

وقد غيَّر الإسلام بتشريعاته الحكيمة تلك الصور والعادات والأحكام الجاهلية ، وأبدلهم خيراً منها ، ولا يسعنا ذكر ذلك البديل لصور الجاهلية كلها ، فمثل هذا يحتاج لسِفْرٍ كبير ، وحسبنا الإشارة إلى صور الجاهلية ، وبعض ما جاء به الإسلام من تغيير له.

الحالة الاجتماعية والدينية والسياسية في شبه الجزيرة العربية

أولاً: شبه الجزيرة العربية:

وهي قطعة من الأرض تقع في الجنوب الغربي من قارة آسِيا، ويحدها البحر الأحمر غَرباً. والخليج العربي شرقاً، وبلاد الشام والعراق شمالاً. وبحر العرب جنوباً.

ثانياً: ا لعرب:

وهم قوم سكنوا الجزيرة العربية منذ أقدم العصور.

ثالثاً: حالة العرب السياسية والاجتماعية:

لم يكن للعرب قبل الإسلام دولة تجمعهم، بل كان المجتمع يتكون من عدد من القبائل المتناحرة، إذ كانت الحروب مستمرة فيما بينها لأسباب تافهة كالتسابق على موارد الماء وأماكن الرعي، والتنافس على الشرف والرئاسة.

قال تعالى: {وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ الله عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ

إِخْوَاناً } (1).

كما ميز العرب البنين على البنات ، وذلك لحاجة القبيلة إلى الرجال في الحروب .قال تعالى :

{ وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم }(7)

كما أن الرجل الجاهلي يتزوج من النساء العدد الكثير دون تحديد

وإلى جانب هذه العادات السيئة هناك بعض العادات الحسنة مثل : الكرم ، والشجاعة ، وحسن الجوار ، والوفاء بالعهد .

رابعاً : الحالة الاقتصادية :

إن الحالة الاقتصادية في الجزيرة العربية ليست بأحسن حالاً من الحالة الاجتماعية والسياسية، فقد عمل العرب في بعض الأعمال منها:

1- التجارة : كانت مكة ملتقى طرق القوافل من أنحاء الجزيرة العربية، مما جعل أهلها يعملون بالتجارة، وكانت هناك رحلة الشتاء والصيف.

2-الزراعة : فقد زرع العرب الفاكهة، والنخيل، والحبوب، في يثرب والطائف واليمن واليمامة.

3-الرّعي : وهو الاهتمام بتربية الحيوانات كالغنم والإبل.

خامساً : الحالة الدينية:

كان في الجزيرة العربية قبل الإسلام عبادات وديانات مختلفة منها:

1- الحنيفية : وهى ملة إبراهيم عليه السلام. والحنفاء هم الذين دعوا الناس إلى ترك عبادة الأوثان والأصنام وأخلصوا العبادة لله الواحد الأحد، ومن هؤلاء زيد بن عمرو بن نفيل.

2-عبادة الأوثان والأصنام : وكان عليها أكثر العرب فكانوا يطوفون بها ويذبحون عندها ويدعونها من دون الله وقد انتشرت في الحجاز وبعض مناطق الجزيرة العربية قال تعالى : { أفرَأَيْتُمُ اللاّتَ والعُزَّى. وَمَناةَ الثَّالثَةَ الأُخْرَى } (2).وقال تعالى: { مَا نَعْبُدُهُمْ إلاّ ليُقَرّبُونَا إلَى اللهِ زُلْفَى} (3).وثبت في صحيح البخاري أن عمرو بن لحيّ الخزاعي هو الذي ابتدع بعض العبادات والمعتقدات في مكة.

3- عبادة النجوم والكواكب: اتخذها بعض العرب معبوداً لهم من دون الله: كالشمس والقمر وبعض النجوم قال تعالى: {وأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشِّعْرى } (4).

4- اليهودية والنصرانية: انتشرت اليهودية والنصرانية في بعض مناطق الجزيرة العربية قبل الإسلام فقد كانت اليهودية في خيبر ويثرب والنصرانية في نجران واليمن وقد كان من النصارى من بقي على النصرانية الصحيحة كورقة بن نوفل في مكة.

ولعل مما سبق يتبين لنا الحاجة إلى بعثة محمد صلى الله عليه وسلم لأن الناس كانوا في ضلال مبين عرباً وغيرهم، وذلك لإخراجهم من الظلمات إلى النور، ومن عبادة الأوثان والأصنام وغيرها إلى عبادة الله الواحد الأحد، للفوز في الدنيا والآخرة. قال تعالى: {هُوَ الَّذي بَعَثَ في الأميينَ رَسُول مِنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ ويُعَلِمهُم الكِتَابَ والْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قبْلُ لَفِي ضَلاَلٍ مبينٍ } (5).

وقال تعالى: { لَقَدْ مَنَّ اللّه عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِم آياته وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمَهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وإِنْ كانُواْ مِن قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ } (6).

مولده واسمه ونسبه :

ولد سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم في مكة المكرمة يوم الاثنين الثاني عشر من شهر ربيع الأول عام 571 م، ويعرف عام مولده بعام الفيل وهو العام الذي حاول فيه أبرهة الحبشي أن يهدم الكعبة فأهلكهم الله كما ثبت ذلك في سورة الفيل.

والده: عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف مات قبل أن يولد النبي صلى الله عليه وسلم ولذلك ولد يتيماً صلى الله عليه وسلم

وأمه: آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة.

فلما ولدته أمه أرسلت إلى جدِّه تبشره بحفيده، فجاء فحمله ودخل به الكعبة ودعا له وسماه محمداً. قال تعالى: { ومُبَشِراً بِرَسُولٍ يَأتِي مِنْ بَعْدِي اسْمهُ أَحْمَدُ }.

فنسبه صلى الله عليه وسلم من جهة والده هو: (محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ابن هاشم بن عبد مناف بن قصى بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي ابن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان) وعدنان من ولد إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام ويلتقي نسب أبيه مع أمه في كلاب بن مرة.

رضـاعتـه :

كان من عادة أشراف قريش أن يدفعوا بأطفالهم إلى مراضع من البادية ليعيش الطفل في هواء البادية الصحي في السنوات الأولى من عمره، فيقوى جسمه لذلك التمس عبد المطلب المراضع لمحمد صلى الله عليه وسلم حينما قدم من بني سعد نسوة إلى مكة يلتمسن الرضعاء، وكان من بينهن حليمة السعدية، فما بقيت واحدة منهن إلا أخذت طفلاً إلا حليمة فلم تجد سوى محمد صلى الله عليه وسلم فامتنعت عن أخذه لأنه يتيم الأب أولاً، ولكنها كرهت أن ترجع من غير رضيع مما جعلها تأخذه إذ لا يوجد سواه. فلما أخذته وجدت من بركته صلى الله عليه وسلم شيئاً كثيراً، فمكث صلى الله عليه وسلم في بني سعد سنتين، مدة الرضاعة. ثم ذهبت به حليمة إلى أمه لتطلب منها أن يبقى عندها مدة أخرى. ولما بلغ الخامسة من عمره وقعت حادثة شق الصدر. فقد جاء جبريل إلى محمد صلى الله عليه وسلم وهو يلعب مع الغلمان فأخذه وصرعه وشق صدره واستخرج قلبه واستخرج منه

علقة ، فقال: هذا حظ الشيطان منك ثم غسله في طست من ذهب بماء زمزم ثم أعاده كما كان.

قال أنس راوي الحديث "وقد كنت أرى أثر المخيط في صدره" فلما علمت حليمة بهذه الحادثة خافت عليه فأرجعته إلى أمه.

موت أمه وكفالة جده:

أصبح صلى الله عليه وسلم عند أمه بعدما أرجعته حليمة إليها، فلما بلغ السادسة من عمره ذهبت به إلى يثرب لزيارة أخواله من بني النجار ومعها حاضنته أم أيمن، وفي طريق العودة ماتت أمه في مكان يسمى (الأبواء) بين مكة ويثرب فرجعت به أم أيمن إلى مكة فكفله جدُّه عبد المطلب.

كفالة عمه أبي طالب ورحلته الأولى إلى الشام

بقي صلى الله عليه وسلم في كفالة جدِّه عبد المطلب حتى بلغ الثامنة من عمره، فتوفي جده وقبل وفاته أوصى عمَّه أبا طالب بكفالته صلى الله عليه وسلم، لأنه يعلم حُبَّ أبي طالب لمحمد صلى الله عليه وسلم ، وقد ساعد عمه في العمل بالتجارة، وصحبه في رحلته إلى بلاد الشام، وكان صلى الله عليه وسلم في الثانية عشرة من عمره، وفي مكان يسمى بُصْرى- بين الشام والحجاز- قابلا راهباً يُدْعى بُحَيْرَا الذي عرف محمداً صلى الله عليه وسلم بخاتم النبوة بين كتفيه، وأنه يتيم وأمر عمَّه أن يرجعه إلى مكة خوفاً عليه من اليهود.

زوجاته

عدد زوجات النبيّ

يُعَدّ النبيّ محمد-صلّى الله عليه وسلّم- أفضل الأنبياء، وخاتمهم، وقد خصّه الله بخصائص كثيرة تميّزه عن غيره، منها الزواج بأكثر من أربع نساء؛ فقد تزوّج بإحدى عشرة زوجة شرّفهنّ الله بقوله: (النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ)، وهنّ أيضاً زوجاته -صلّى الله عليه وسلّم- في الجنّة، وقد تُوفّي رسول الله وهو راضٍ عنهنّ، وعددهنّ حينئذٍ تسع، وهنّ: سودة، وعائشة، وحفصة، وأم سلمة، وزينب بنت جحش، وأم حبيبة، وجويرية، وصفيّة، وميمونة -رضي الله عنهنّ-.

ترتيب زوجات النبيّ وأسماؤهنّ

تعدّدت أقوال المؤرخين من أهل السّير في موضوع الترتيب الزمني لزواج النبيّ -صلّى الله عليه وسلّم من أمّهات المؤمنين؛ ومنشأ ذلك كان بسبب اختلاف الآراء في الأمر الضابط لاعتماد الزواج، هل يكون بمجرد عقد النكاح أم بالدّخول، وعلى الرأي الذي يرى اعتماد الزواج بالدّخول بهنّ فإنّ ترتيبهنّ يكون على النحو الآتي:

خديجة بنت خويلد -رضي الله عنها-.

سودة بنت زمعة -رضي الله عنها-.

عائشة بنت أبي بكر -رضي الله عنها-.

حفصة بنت عمر بن الخطاب -رضي الله عنها-.

زينب بنت خزيمة -رضي الله عنها-.

أم سلمة -رضي الله عنها-.

زينب بنت جحش -رضي الله عنها-.

جويريّة بنت الحارث -رضي الله عنها-.

صفيّة بنت حُيَيّ -رضي الله عنها-.

أم حبيبة -رضي الله عنها-.

ميمونة بنت الحارث -رضي الله عنها-.

نبذة عن حياة زوجات النبي خديجة بنت خويلد هي أمّ المؤمنين خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى القُرَشيّة، وأمّها فاطمة بنت زائدة، وقد كانت -رضي الله عنها- امرأة غنيّة تستأجر الرجال؛ للعمل في تجارتها، وسمعت بصدق رسول الله، وأمانته، فأحبّت أن تستأجره، فوافق النبيّ على ذلك، وبدأت تجارتها بالزيادة والربح أضعاف ما كانت عليه، فأُعجِبت بشخص النبيّ، وعَرضت الزواج عليه عن طريق صديقتها نفيسة بنت منية، فقَبِل النبيّ بذلك، وكان أبوها خويلد هو من تولّى أمر زواجها. وقد كانت -رضي الله عنها- مثالاً للزوجة الصالحة، ولها العديد من الفضائل؛ فهي أوّل من شهد أن لا إله إلا الله، وأنّ محمداً رسول الله

على الإطلاق، وهي أمّ لأبناء رسول الله جميعهم ما عدا إبراهيم الذي أنجبَته مارية القبطية، كما أنّها بُشِّرَت بالجنّة، ونالت شَرف السلام من الله، وجبريل -عليه السلام-. وتجدر الإشارة إلى أنّ السيّدة خديجة -رضي الله عنها- تُوفِّيت في شهر رمضان عن عُمْر خمسٍ وستّين سنة، وقد سبّب هذا الحدث الحزن الشديد لرسول الله؛ فقد كانت -رضي الله عنها- قرّة عينه، ورفيقته في السرّاء والضراء، إذ استمرّ زواجه بها خمساً وعشرين سنة.

سودة بنت زمعة هي أم المؤمنين سودة بنت زمعة بن قيس بن عبد شمس بن عبد ود بن نصر بن مالك، وأمّها الشموس بنت قيس بن زيد من بني النجّار، كانت مُتزوِّجة من السكران بن عمرو، وقد تُوفِّي عنها بعد إسلامه، وتزوّجها النبيّ - عليه الصلاة والسلام- بعد وفاة أم المؤمنين خديجة - رضي الله عنها- بثلاث سنوات؛ حيث خطبتها له خولة بنت حكيم، فوافق على ذلك؛ إذ عاش وحيداً بعد فِراق زوجته خديجة طوال هذه الفترة. وقد ورد الكثير من الفضائل في ما يتعلّق بأمّ المؤمنين سودة - رضي الله عنها-، من ذلك أنّها جعلت يومها من رسول الله لعائشة - رضي الله عنها- عندما كبرت؛ حرصاً منها على البقاء في عِصمته - صلّى الله عليه وسلّم-، وحبّاً به، وابتغاءً لمرضاته، ويُشار إلى أنّ وفاتها -رضي الله عنها- كانت في آخر خِلافة عمر بن الخطّاب، وقِيل سنة أربع وخمسين،

عائشة بنت أبي بكر وهي أمّ المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصدّيق -رضي الله عنهما-، وأمّها أم رومان بنت عامر بن عويمر، تزوّجها النبيّ بعد وفاة أمّ المؤمنين خديجة -رضي الله عنها-؛ إذ جاءت خولة بنت حكيم تعرض على الرسول الزواج بعائشة -رضي الله عنها-، فقَبِلَ بها، وكان عمرها ستّ سنوات، وكانوا يعتقدون في الجاهلية أنّ المؤاخاة تمنع المصاهرة، فأُشكِل الأمر على أبي بكر، إلّا أنّ النبي بيّن له أنّه أخوه في الدين، وهي له حلال، وكان ذلك في شوّال من السنة الثالثة قبل الهجرة، وكان مَهرها اثنتي عشرة أوقية ونصفاً، وقد دخل بها بعد ثلاث سنين؛ أي في السنة الأولى للهجرة، وتُوفِّي عنها وعمرها ثماني عشرة سنة. وكانت عائشة -رضي الله عنها- من أفقه نساء الأمة، حتى إذا أُشكِل أمر على الصحابة رجعوا إليها، وقد وردت فضائلها الكثيرة في القرآن، والسنّة، حيث صرَّح النبيّ -عليه السلام- بأنّها أحبّ الأزواج إليه، أمّا وفاتها -رضي الله عنها- فقد كانت في السابع عشر من رمضان سنة ثمان وخمسين للهجرة عن عُمْر سبعة وستّين عاماً، ودُفِنَت في البقيع.

حفصة بنت عمر بن الخطّاب وهي أمّ المؤمنين حفصة بنت عمر بن الخطّاب، وأمّها زينب بنت مظعون بن حبيب، وُلِدت قبل البعثة بخمس سنين، وكانت -رضي الله عنها- مُتزوّجة من خُنَيس السهميّ -رضي الله عنه-، والذي استُشهِد بعد غزوة أحد سنة ثلاث للهجرة؛ إثر إصابات ألمّت به، وقِيل بعد غزوة بدر، فحزن عمر -رضي الله عنه- على ابنته الشابّة؛ لما تشعر به من الوحدة والترمُّل، فعرض -بعد انقضاء عدّتها بقليلٍ- على صديقَيه أبي بكر، وعثمان -رضي الله عنهما- الزواج بها، فلم يلقَ الجواب الذي أمِلَ به منهما، وكان قد عَلِم لاحقاً أنّهما قد سَمِعَا النبيّ يذكرها، فخطبها النبيّ، وكان صداقها بِساطاً، ووسادتَين، وكساءً، ورداءَين أخضرَين. وقد تميّزت -رضي الله عنها- بعِلمها، وحِرصها على التعلُّم؛ فقد رَوت عن رسول الله، وعن أبيها ستّين حديثاً، وعُرِفت بفصاحتها، وبلاغتها، وتأثُّر كلامها وأسلوبها بالقرآن، كما أنّها كانت من ذوات الرأي والمشورة؛ لرجاحة عقلها، أمّا وفاتها -رضي الله عنها- فقد كانت عن عُمرٍ ناهز الستّين عاماً في شعبان سنة خمس وأربعين، وقِيل إحدى وأربعين للهجرة في جمادى، وذُكِر أنّ قبرها في المدينة.

زينب بنت خزيمة وهي أمّ المؤمنين زينب بنت خزيمة بن الحارث بن عبد الله بن عمرو بن عبد مناف، استشهد زوجها عبد الله بن جحش في غزوة أُحد، وبعد أن عَلم النبيّ بخبر ترمُّلها تزوّجها، وكان ذلك في العام الثالث من الهجرة في شهر رمضان، ولم تستمرّ حياتها مع النبيّ سوى شهرَين أو أكثر، ثمّ تُوفِّيت -رضي الله عنها- في المدينة المُنوَّرة عن عُمر ناهز الثلاثين عاماً. ويُشار إلى أنّ أم المؤمنين زينب -رضي الله عنها- كانت تُسمّى بأمّ المساكين في الجاهليّة؛ لعَطفها، وحنانها عليهم، وعندما أسلمت شاركت في معركة بدرٍ من خلال تقديم الرعاية للجرحى.

أم سلمة وهي أمّ المؤمنين أمّ سلمة، هند بنت أبي أمية ابن المغيرة بن عبدالله، قُرَشيّة من بني مخزوم، وأمّها عاتكة بنت عامر بن ربيعة، وقد كانت -رضي الله عنها- مُتزوّجة من أبي سلمة -رضي الله عنه-، فعندما تُوفِّي دَعَت الله أن يُخلِفها خيراً منه، فتقدّم لها رسول الله؛ تكريماً لها، ولزوجها؛ فقد بذلا الكثير في سبيل الدعوة، وحناناً منه على صِبيانها، ودخل بها في شوّال، أو جمادى الآخرة سنة أربع للهجرة، وتولّى ابنها عمر أمر تزويجها، وكان صداقها صُحفة كثيفة؛ وهي آنية الطعام ، وفراش حَشوُه ليف؛ والليف هو: قشور النخل ، ورحىً؛ أي أداة الطحن. وقد تميّزت أم سلمة -رضي الله عنها- بالكثير من الفضائل التي خَصّها الله

بها عن غيرها من أمّهات المؤمنين، ومنها: رجاحة عقلها، وفصاحتها، وبلاغتها؛ فقد اكتسبت ذلك من آبائها، وأجدادها، ومن عَيشها في بيت النبوّة، كما أنّها عُرِفت بعِلمها الشرعيّ الغزير؛ فقد رَوت الكثير عن رسول الله -عليه السلام-، ورُوِيَ عنها الكثير، وكانت سبباً في نزول بعض آيات القرآن الكريم. أمّا وفاتها -رضي الله عنها- فقد كانت في سنة تسعٍ وخمسين للهجرة، عن عُمرٍ ناهز التسعين عاماً، ودُفِنَت في البقيع، وهي آخر زوجات النبيّ موتاً، وقِيل إنّ آخرهنّ هي السيّدة ميمونة، وقِيل إنّها حفصة.

زينب بنت جحش وهي أمّ المؤمنين زينب بنت جحش بن رئاب بن يعمر بن صبر بن مرة، ابنة عمّة رسول الله؛ فأمّها أميمة بنت عبد المطلب بن هاشم، وكانت مُتزوّجة من مولى رسول الله زيد بن حارثة -رضي الله عنه-، وعندما طلَّقها، أمر الله نبيَّه بالزواج منها بقوله: (فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّـهِ مَفْعُولًا)، ولهذا كانت تَفخر -رضي الله عنها- بأنّ الله زوّجَها من فوق سبع سموات بلا وليٍّ ولا شاهدٍ كما ورد في قولها: (إِنَّ اللَّهَ أَنْكَحَنِي في السَّمَاءِ). أمّا وفاتها -رضي الله عنها- فقد كانت سنة عشرين للهجرة في خلافة عمر بن الخطّاب -رضي الله عنه-. وقد وردت فضائلها، ومناقبها -رضي الله عنها- واضحةً بنصّ الآيات، والأحاديث، ومن ذلك: قوله تعالى: (فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا)، فكان لها الشرف العظيم -رضي الله عنها- عندما تولّى الله -سبحانه- أمرَ تزويجها برسول الله. قول رسول الله -صلّى الله عليه وسلّم-: (أَسْرَعُكُنَّ لَحَاقًا بي أَطْوَلُكُنَّ يَدًا. قالَتْ: فَكُنَّ يَتَطَاوَلْنَ أَيَّتُهُنَّ أَطْوَلُ يَدًا. قالَتْ: فَكَانَتْ أَطْوَلَنَا يَدًا زَيْنَبُ، لأنَّهَا كَانَتْ تَعْمَلُ بيَدِهَا وَتَصَدَّقُ)، فقد بشّرها رسول الله بأنّها أوّل زوجاته لحاقاً به، وأثنى عليها بكثرة تصدُّقها.

جويرية بنت الحارث كانت أمّ المؤمنين جويريّة بنت الحارث -رضي الله عنها- من بني المصطلق، وكان والدها الحارث زعيمَهم، فأراد قتال رسول الله؛ إرضاءً لغطرسته، وحبّاً في السُّلطة، إلّا أنّه هُزِم أمام رسول الله، ووقع أكثر من سبعمئة منهم أسرى في يده، ومنهم ابنة الحارث (برّة) التي أسماها رسول الله فيما بعد جويريّة، وكانت قد أتت رسول الله تسأله فكاك* نفسها، فقال رسولُ اللهِ: ((أو ما هو خيرٌ مِن ذلك؟) فقالت: وما هو؟ قال: (أتزوَّجُكِ وأقضي عنكِ كتابتَكِ) فقالت: نَعم قال: (قد فعَلْتُ))، وأعتق قومها من الأسر؛ صداقاً لها. وقد كانت -رضي الله عنها- كثيرة الصيام، والقِيام، كثيرة العطف على الفقراء، والمساكين، مُحِبّةً

للخير، والسلام، حريصةً على وحدة صفّ المسلمين وظهر ذلك جليّاً في موقفها المُحايد في مواجهة الفِتن التي داهمت المسلمين زمن خلافة عثمان، وعند استشهاد علي -رضي الله عنهم- جميعاً، وكانت تدعو الله أن يحقنَ* دماء المسلمين، وقد كانت وفاتها -رضي الله عنها- بعدما أضعفَها الكِبر في السنّ، والمرض الذي لم ينفع معه العلاج في سنة خمسين، وقِيل ستٍّ وخمسين للهجرة.

صفية بنت حُيَيّ بن أخطب وهي أمّ المؤمنين صفيّة بنت حُيَيّ بن أخطب، من ذرية رسول الله هارون -عليه السلام-، وأمّها برة بنت سموأل، وكانت قبل إسلامها مُتزوّجةً من كنانة بن الربيع؛ وهو شاعر يهوديّ قُتِلَ يوم خيبر، فسُبِيَت، فصارت في سهم دحية الكلبيّ -رضي الله عنه-، فجعلها لرسول الله، وكان صداقها* عِتقها. حازت -رضي الله عنها- على الكثير من الفضائل، والمناقب، ومنها أنّ النبيّ خصّها بالرعاية، والعطف الخاصّ؛ لكونها غريبة، فنساؤه جميعهنّ قُرَشيّات ما عداها؛ فكثيراً ما كان يُذكّرها بأنّها حفيدة الأنبياء، ومن جميل رعايته أيضاً ما رواه البخاريّ عن أنس بن مالك -رضي الله عنه- أنّه قال: (فَرَأَيْتُ رَسولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ يُحَوِّي لَهَا ورَاءَهُ بعَبَاءَةٍ، ثُمَّ يَجْلِسُ عِنْدَ بَعِيرِهِ، فَيَضَعُ رُكْبَتَهُ، فَتَضَعُ صَفِيَّةُ رِجْلَهَا علَى رُكْبَتِهِ حتَّى تَرْكَبَ). وقد كانت وفاتها -رضي الله عنها- سنة خمسين، وقِيل اثنتين وخمسين للهجرة، ودُفِنَت في البقيع.

أم حبيبة وهي أمّ المؤمنين رملة بنت أبي سفيان بن حرب بن أمية، وأمّها صفية بنت أبي العاص بن أمية، كانت مُتزوّجة من عُبيدالله بن جحش بن رئاب، وهي أقرب أزواج النبيّ نَسباً إليه؛ فهي من بنات عمّه، إلى جانب أنّها كانت أبعد أزواجه ديار اً عندما عَقَدَ عليها؛ حيث تزوّجها وهي في الحبشة، وزوّجها إيّاه النجاشيّ، إضافة إلى أنّها كانت أكثر نسائه صداقاً؛ فقد بلغ مهرها الأربعمئة دينار، أصدقها إيّاها النجاشيّ. هاجرت أم حبيبة -رضي الله عنها- الهجرة الثانية إلى الحبشة مع زوجها عُبيدالله بن جحش، إلّا أنّه ارتدّ عن الدين، وثبتت -رضي الله عنها- على دينها، وهجرتها. أمّا وفاتها -رضي الله عنها- فقد كانت في المدينة المُنوّرة سنة أربعٍ وأربعين، وقِيل اثنتين وأربعين للهجرة.

ميمونة بنت الحارث وهي أمّ المؤمنين ميمونة بنت الحارث بن حزن بن بجير بن الهزم، وأمّها هند بنت عوف بن زهير، تزوّجت في الجاهليّة من مسعود بن عمرو الثقفيّ الذي فارقها، فتزوّجت بعده أبا رُهم بن عبد العزى الذي تُوفِّي عنها، فتزوّجها النبيّ -عليه الصلاة والسلام-، وكانت -رضي الله عنها- من سادات النساء، وهي أخت أم الفضل زوجة العبّاس عمّ النبيّ، وقد جعلت أمرها للعبّاس

عندما خطبها النبيّ، فزوّجها إيّاه، وكان ذلك في شهر ذي القعدة سنة سبعٍ للهجرة في سَرف*، ويُشار إلى أنّها كانت آخر امرأة تزوّجها النبيّ . ورد الكثير من فضائلها -رضي الله عنها-؛ فقد رَوت عدّة أحاديث عن رسول الله، وكانت وَرِعة تقيّة تصل الأرحام، فقد روى ابن حجر عن يزيد بن الأصم عن عائشة أنّها قالت تصف ميمونة: (أما أنَّها كانَت من أتقانا للَّهِ وأوصلِنا للرَّحِمِ أمّا وفاتها -رضي الله عنها- فقد كانت في سَرف، وقِيل في مكّة، ثمّ حُمِلَت إلى سَرف بأمر من ابن أختها ابن عبّاس -رضي الله عنه-، وكان ذلك سنة إحدى وخمسين، وقِيل إحدى وستّين للهجرة، عن عُمر بلغ ثمانين عاماً.

هل تعد مارية القبطية من زوجات الرسول وُلِدت أم إبراهيم؛ مارية بنت شمعون القبطية في مصر، وقد أهداها المقوقس للنبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- في السنة السابعة للهجرة، فأسلمت ودخل بها الرسول بمُلك اليمين، وأنجبت له إبراهيم، ويجدر بالذكر أنّ السيّدة مارية لا يُطلَق عليها (أمّ المؤمنين) كزوجات الرسول؛ إذ إنّ كلّ امرأة عقدَ عليها الرسول ودخل بها فهي من أمهات المؤمنين، أمّا السيّدة مارية -رضي الله عنها- فهي من إمائه -صلّى الله عليه وسلّم-، وليست من زوجاته، وتوفّيت رضي الله عنها في خلافة عمر بن الخطاب في شهر محرّم في العام السادس عشر للهجرة، ودُفنت بالبقيع.

مكانة زوجات النبي تُعَدّ أمّهات المؤمنين -رضي الله عنهنّ- بصفتهنّ زوجات لرسول الله أفضل الأزواج على الإطلاق، وفي ما يأتي ذِكر بعضِ الأسباب التي تُوَضّح مكانتهنّ، وأفضليتهنّ: خصّهنّ الله بنزول الوحي في بيوتهنّ؛ بقوله: (وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّـهِ وَالْحِكْمَةِ). حرّم الله نكاحهنّ بعد رسول الله؛ بقوله: (وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّـهِ وَلَا أَن تَنكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِن بَعْدِهِ أَبَدًا). وصفهنّ الله بالزوجيّة؛ بقوله: (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ)، للدلالة على الإنسجام والتوافق في علاقتهنّ برسول الله.

حقوق زوجات النبيّ على المسلمين تُعَدّ أمّهات المؤمنين -رضي الله عنهنّ- زوجات لرسول الله في الدنيا، والآخرة؛ ولهذا فإنّه يجب على المسلم توقيرهنّ، واحترامهنّ، ومَحبتهنّ في الله، والترضّي عنهنّ عند ذِكرهنّ، والدفاع عنهنّ، والتصدّي لكلّ أذىً يُقال فيهنّ.

الحكمة من تعدُّد زوجات النبيّ تعدُّد زوجات الرسول هو وحيٌ، وأمرٌ من الله، دلّت عليه الكثير من الآيات، منها قوله -تعالى-: (لَّا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِن بَعْدُ وَلَا أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ وَكَانَ اللَّـهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَّقِيبًا)، وبدراسة سيرة النبيّ -صلّى الله عليه وسلّم-، وكيفيّة زواجه بنسائه، يتبيّن أنّ السبب في تعدُّد زوجاته مُتعلِّقٌ بعدّة حِكَم يمكن إجمالها بما يأتي:

الحكمة التعليميّة: تُعَدّ النساء نصف المجتمع، وهنّ بحاجة إلى من يجيب عن أسئلتهنّ المُتعلِّقة بهنّ كنساء؛ من حَيض، ونَفاس، وأمورٍ زوجيّة، وغيرها، وليست كلّ النساء تتغلّب على حيائها لتسأل رسول الله في شيء، وما كان لرسول الله الإجابة عن كلّ سؤال بتفاصيله الدقيقة عن المرأة؛ فقد كان رسول الله حَيِيّاً؛ لذا فإنّه بزواجه أعدّ داعيات عالمات بأمور دينهنّ، يُجِبن عن تساؤلات النساء الدقيقة.

الحكمة التشريعيّة: كانت عادة التّبني من العادات المعروفة بين العرب عند مجيء الإسلام، وكان النبي -عليه السلام- قد تبنّى زيد بن حارثة، وشاءت إرادة الله -تعالى- إبطال عادة التّبني وإبطال آثاره، ولأجل أن يكون هذا الحكم واضحاً في أذهان المسلمين؛ فقد أمر المولى سبحانه النبيَّ بالزواج من زينب بنت جحش، وهي يومئذ طليقة ابنه بالتبني؛ فشكّل هذا الزواج أمراً إلهياً وتشريعاً جديداً بحرمة التبني وإبطال أثره.

الحكمة الاجتماعية: إنّ ما يحدث بالزواج من مصاهرة، ونَسب، كفيل بأن يجمع القلوب برباطٍ وثيق، كزواجه -صلّى الله عليه وسلّم- من أمهات المؤمنين: عائشة، وحفصة -رضي الله عنهما-؛ حُبّاً بأبويهما.

الحكمة السياسية: لا تؤلّف المصاهرة بين القلوب على مستوى الأشخاص فحَسب، بل على مستوى العشائر، والقبائل، وبطبيعة الحال فإنّ المُتعارَف عليه هو نُصرة النسيب، والصِّهر، وحمايته، والالتفاف حوله، وقد كان ذلك مَدعاةً لزواجه -صلّى الله عليه وسلّم- من أمّهات المؤمنين: جويريّة، وصفيّة، وأم حبيبة -رضي الله عنهنّ

رحلته الى الشام وتجارته لخديجة

لمَّا تمَّ للنبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم من العُمُرِ اثنَتا عَشْرةَ سنةً، سافر عمُّه أبو طالِبٍ إلى الشَّامِ في رَكبٍ للتِّجارةِ، فأخَذهُ معه. ولمَّا نزلَ الرَّكبُ (بُصرَى) مرّوا على راهِبٍ هناك يُقال له (بَحيرَا)، وكان عليمًا بالإنجيلِ، خبيرًا بالنَّصرانيَّةِ، وهناك أبصرَ بَحيرَا النبيَّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم، فجَعَلَ يتأمَّلُه ويُكلِّمُه، ثم الْتَفَتَ إلى أبي طالبٍ فقال له: ما هذا الغُلامُ مِنكَ؟ فقال: ابني (وكان أبو طالِبٍ يَدعوه بابنِه؛ لشدَّةِ محبَّتِه له وشَفَقَتِه عليه). فقال له بَحيرَا: ما هو بِابنِك، وما ينبغي أن يكونَ أبو هذا الغُلامِ حيًّا. فقال: هو ابنُ أخي. قال: فما فَعَل أبوه؟ قال: مات وأُمُّه حُبلَى به. قال بَحيرَا: صدقتَ. فارجِعْ به إلى بلدِه واحذَرْ عليه يهودَ؛ فوالله لئنْ رأوْهُ هنا لَيَبْغُنَّهُ شرًّا؛ فإنَّه كائنٌ لابنِ أخيك هذا شأنٌ عظيمٌ. فأسرَع به أبو طالبٍ عائدًا إلى مكَّةَ. وروَى التِّرمذيُّ: أنَّ أبا طالبٍ خرج إلى الشَّامِ، وخَرَج معه النبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم في أشياخٍ من قُرَيشٍ؛ فلمَّا أشرَفوا –اقتَرَبوا– على الرَّاهِب –يَعني: بَحيرَا– هَبَطوا فحَلُّوا رِحالَهم؛ فخَرَج إليهمُ الراهبُ، وكانوا قبل ذلك يَمرُّون به فلا يخرُجُ إليهم ولا يَلتفِتُ إليهم، قال: وهم يَحُلُّون رِحالَهم؛ فجَعَل يَتخلَّلُهمُ الرَّاهبُ حتى جاء فأخَذ بيَدِ رسولِ الله صلَّى اللهُ عليه وسلَّم، فقال: هذا سيِّدُ العالَمين، هذا رسولُ ربِّ العالَمين، يبعَثُه اللهُ رحمةً للعالَمين، فقال له أشياخٌ من قُريشٍ: ما عِلمُك؟ قال: إنَّكم حين أشرفتُم من العقبةِ لم يبقَ شجرٌ ولا حجرٌ إلا خرَّ ساجدًا، ولا يَسجُدانِ إلا لنبيٍّ، وإنِّي أعرِفُه بخاتَمِ النبوَّةِ أسفلَ من غُضروفِ كَتِفِه مثلِ التُّفَّاحةِ، ثم رَجَع فصَنَع لهم طعامًا، فلمَّا أتاهم به، وكان هو – أي: الرسولُ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم– في رِعيةِ الإبلِ، قال: أرسِلوا إليه. فأقبَلَ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم وعليه غَمامةٌ تُظِلُّه، فلما دنا من القَومِ، وَجَدَهم قد سَبَقوه إلى فيءِ –ظلِّ– الشَّجرةِ، فلمَّا جلس رسولُ الله صلَّى اللهُ عليه وسلَّم مالَ فَيءُ الشجرةِ عليه، فقال

بَحيرَا: انظُروا إلى فَيءِ الشجرةِ مالَ عليه! قال: فبينما هو قائمٌ عليهم، وهو يُناشِدُهم ألَّا يَذهَبوا به إلى الرُّومِ؛ فإنَّ الرُّومَ إن رأوه عَرَفوه بالصِّفةِ فيقتُلونَه، فالْتفَتَ فإذا بسَبعةٍ قد أقبلوا من الرُّومِ فاستَقبَلَهم، فقال: ما جاء بكم؟ قالوا: جِئنا أنَّ هذا النبيَّ خارِجٌ في هذا الشَّهرِ، فلم يبقَ طريقٌ إلَّا بُعِثَ إليه بأُناسٍ، وإنَّا قد أُخبِرنا خَبَرَه، فبُعِثنا إلى طريقِك هذا، فقال: هل خَلَفَكم أحدٌ هو خيرٌ منكم؟ قالوا: إنَّما أُخبِرنا خَبَرَه إلى طريقِكَ هذا. قال: أفَرَأيتم أمرًا أراد اللهُ أن يقضيَه، هل يستطيع أحدٌ من الناس ردَّه؟ قالوا: لا، قال: فبايَعوه، وأقاموا معه عنده. قال: فقال الرَّاهبُ بَحيرَا: أنشُدكم اللهَ أيُّكم وَليُّه؟ قال أبو طالب: فلم يزَل يُناشِدُه حتى ردَّه أبو طالِبٍ."

"حلف الفضول" هو واقعة تاريخية شهدت إبرام معاهدة لنبذ العنف والظلم بعد حرب الفجار بمكة قبل الإسلام.. أما تفاصيلها؟

في دار عبدالله بن جدعان وبين عامي 590-595 ميلادية شهدت مدينة مكة حدثا مهما تجسد في تكوين "حلف الفضول"، والذي يعد معاهدة لنبذ العنف والظلم وتحقيق المساواة التي تعد من أسس الدولة المدنية الحديثة.

عقد "حلف الفضول" قبل البعثة النبوية بسنوات، وشهده محمد -صلى الله عليه وسلم- قبل النبوة، وكان الزبير بن عبدالمطلب أول من دعا إليه، وشارك فيه بنو هاشم وبنو المطلب بن عبد مناف وبنو أسد بن عبد العزى وبنو زهرة بن كلاب وبنو تيم.. وتعاهد المشاركون فيه على نصرة المظلوم في مكة سواء كان من أهلها أو من الوافدين عليها، وقد قال عنه رسول الله -صلى الله عليه وسلم- تذكره وهو في يثرب، وقال: "لقد شهدت في دار عبد الله بن جدعان حلفا ما أحب أن لي به حُمر النعم، ولو دُعيت به في الإسلام لأجبت".

وكان هذا قد حدث في دار أحد عقلاء مكة وهو عبدالله بن جدعان، وتمثل الحلف في التعاهد "على أن ينتفي الظلم من مكة، وأن يُرد عليه إذا كان موجوداً، حتى تُرد على المظلوم ظلامته".

ما قصة "حلف الفضول"؟

في شهر ذي القعدة كان حلف الفضول الذي تم بعد حرب الفجار بأربعة أشهر، وسببه أن رجلا من زبيد (بلد باليمن) قدم مكة ببضاعة فاشتراها منه العاص بن وائل ومنعه حقه، فاستعدى عليه الزبيدي أشراف قريش فلم يعينوه لمكانة العاص فيهم، وقف الرجل عند الكعبة واستغاث بآل فهر وأهل المروءة، فقام الزبير بن عبد المطلب فقال: ما لهذا مترك، فاجتمعت بنو هاشم وزهرة وبنو تَيْم في دار عبد الله بن جدعان فصنع لهم طعاما، وتحالفوا في شهر حرام وهو ذو القعدة، فتعاقدوا وتحالفوا بالله ليكونُنّ يدًا واحدة مع المظلوم على الظالم حتى يُرد إليه حقه.

سبب التسمية:

وذهب أشراف قريش إلى العاص بن وائل فانتزعوا منه سلعة الزبيدي فدفعوها إليه، وأبرموا هذا الحلف الذي سمي بـ" حلف الفضول "؛ لأن من قاموا به كان في

أسمائهم اسم الفضل، كالفضل بن الحارث، والفضل بن وداعة، والفضل بن فضالة كما ذكر ذلك البخاري في "الأدب المفرد".

وفي هذا الحلف قال الزبير بن عبد المطلب:

إن الفضول تعاقدوا وتحالفوا ألا يقيم ببطن مكة ظالـــم

أمر عليه تعاقــدوا وتواثقــوا فالجار والمُعتزّ فيهم سالم

تجارته لخديجة

كانت خديجة بنت خويلد – رضي الله عنها – أرملةً ذات شرفٍ، ومالٍ، تستأجر الرِّجال ليتَّجروا بمالها، فلمَّا بلغها عن محمَّد صلى الله عليه وسلم صدق حديثه، وعظم أمانته، وكَرَم أخلاقه، عرضت عليه أن يخرج في مالها إلى الشَّام تاجراً، وتعطيه أفضل ما تعطي غيره من التُّجار، فقبل، وسافر معه غلامها ميسرةُ، وقدما الشَّام، وباع محمَّد صلى الله عليه وسلم سلعته الَّتي خرج بها، واشترى ما أراد من السِّلع، فلمَّا رجع إلى مكَّة، وباعت خديجة ما أحضره لها؛ تضاعف مالها.

وقد حصل الرَّسول صلى الله عليه وسلم في هذه الرِّحلة على فوائد عظيمة بالإضافة إلى الأجر الَّذي ناله؛ إذ مرَّ بالمدينة الَّتي هاجر إليها من بعد، وجعلها مركزاً لدعوته، وبالبلاد التي فتحها، ونشر فيها دينه، كما كانت رحلته سبباً لزواجه من خديجة، بعد أن حدَّثها ميسرة عن سماحته، وصدقه، وكريم أخلاقه ، ورأت خديجة في مالها من البركة ما لم تر قبل هذا، وأُخبرت بشمائله الكريمة، ووجدت ضالَّتها المنشودة، فتحدثت بما في نفسها إلى صديقتها نفيسة بنت منبِّه، وهذه ذهبت إليه تفاتحه أن يتزوَّج خديجة، فرضي بذلك، وعرض ذلك على أعمامه، فوافقوا كذلك، وخرج معه عمُّه حمزة بن عبد المطلب، فخطبها إليه، وتزوَّجها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصدقها عشرين بَكرةً، وكانت أوَّل امرأةٍ تزوَّجها رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يتزوَّج غيرها؛ حتَّى ماتت رضي الله عنها ، وقد وَلَدَتْ لرسول الله صلى الله عليه وسلم غلامين، وأربع بنات. وابناه هما: القاسم، وبه كان صلى الله عليه وسلم يُكنى، وعبد الله، ويلقَّب بالطَّاهر، والطَّيِّب.

وقد مات القاسم بعد أن بلغ سناً تمكنه من ركوب الدَّابة، ومات عبد الله وهو طفل، وذلك قبل البعثة. أمَّا بناته فهنَّ: زينب، ورقيَّة، وأمُّ كلثوم، وفاطمة. وقد أسلمن، وهاجرن

إلى المدينة، وتزوجن رضي الله عنهن . هذا وقد كان عُمرُ الرَّسول صلى الله عليه وسلم حين تزوَّج خديجة رضي الله عنها خمساً وعشرين سنةً، وكان عمرها أربعين سنةً.

–دروسٌ وعبرٌ وفوائد:

1. إنَّ الأمانة، والصِّدق أهمُّ مواصفات التَّاجر النَّاجح، وصفة الأمانة، والصِّدق في التِّجارة في شخصية النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم، هي الَّتي رغَّبت السَّيدة خديجة في أن تعطيه مالها ليتاجر به، ويسافر به إلى الشَّام، فبارك الله لها في تجارتها، وفتح الله لها من أبواب الخير ما يليق بكرم الكريم.
2. إنَّ التِّجارة موردٌ من موارد الرِّزق الَّتي سخَّرها الله لرسوله صلى الله عليه وسلم قبل البعثة، وقد تدرَّب النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم على فنونها، وقد بيَّن النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم: أنَّ التَّاجر الصَّدوق الأمين في هذا الدِّين يُحشر مع النَّبيِّين، والصدِّيقين، والشُّهداء، وهذه المهنة مهمَّة للمسلمين، ولا

يقع صاحبها تحت إرادة الآخرين، واستعبادهم، وقهرهم، وإذلالهم؛ فهو ليس بحاجة إليهم، بل هم في حاجة إليه، وبحاجةٍ إلى خبرته، وأمانته، وعفَّته.

3. كان زواج الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم للسَّيدة خديجة بتقدير الله تعالى، ولقد اختار الله – سبحانه وتعالى – لنبيِّه زوجةً تناسبه، وتؤازره، وتُخفِّف عنه ما يصيبه، وتعينه على حمل تكاليف الرِّسالة، وتعيش همومه.

قال الشَّيخ محمَّد الغزالي – رحمه الله! –: وخديجة مَثلٌ طيِّبٌ للمرأة الَّتي تكمِّل حياة الرَّجل العظيم. إنَّ أصحاب الرِّسالات يحملون قلوباً شديدة الحساسية، ويلقون غبْناً بالغاً

من الواقع الَّذي يريدون تغييره، ويقاسون جهاداً كبيراً في سبيل الخير الَّذي يريدون فرضه، وهم أحوج ما يكونون إلى من يتعهَّد حياتهم الخاصَّة بالإيناس، والتَّرفيه، وكانت خديجة سبَّاقةً إلى هذه الخصال، وكان لها في حياة محمَّدٍ صلى الله عليه وسلم أثرٌ كريم.

- إنَّ النَّبيّ صلى الله عليه وسلم ذاق مرارة فقد الأبناء، كما ذاق من قبل مرارة فقد الأبوين، وقد شاء الله – وله الحكمة البالغة – ألا يعيش له صلى الله عليه وسلم أحدٌ من الذُّكور، حتَّى لا يكون مدعاةً لافتتان بعض النَّاس بهم، وادِّعائهم لهم النُّبوَّة، فأعطاه الذُّكور تكميلاً لفطرته البشرية، وقضاءً لحاجات النَّفس الإنسانيَّة، ولئلا يتنقَّص النَّبيَّ في كمال رجولته شائئ، أو يتقوَّل عليه متقوِّلٌ، ثمَّ أخذهم في الصِّغر، وأيضاً ليكون ذلك عزاءً، وسلوى لِلَّذين لا يُرزقون البنين، أو يُرزقون ثمَّ يموتون، كما أنَّه لونٌ من ألوان الابتلاء، وأشدُّ النَّاس بلاءً الأنبياء [الترمذي (2398) وابن ماجه (4023)] ، وكأنَّ الله أراد للنَّبيِّ صلى الله عليه وسلم أن يجعل الرِّقَّة الحزينة جزءاً من كيانه؛ فإنَّ

الرِّجال الذين يسوسون الشُّعوب لا يجنحون إلى الجبروت، إلا إذا كانت نفوسهم قد طبعت على القسوة، والأثرة، وعاشت في أفراحٍ لا يخامرها كدر، أمَّا الرَّجل الَّذي خبر الآلام؛ فهو أسرع النَّاس إلى مواساة المحزونين، ومداواة المجروحين.

- يتَّضح للمسلم من خلال قصَّة زواج النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم من السَّيدة خديجة، عدم اهتمام النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم بأسباب المتعة الجسديَّة، ومكمِّلاتها، فلو كان مهتماً بذلك – كبقيَّة الشَّباب – لطمع فيمن هي أقلُّ منه سناً، أو فيمن لا تفوقه في العمر، وإنَّما رغب النَّبيُّ صلى الله عليه

- وسلم لشرفها، ومكانتها في قومها؛ فقد كانت تلقَّب في الجاهلية بالعفيفة الطَّاهرة.

- في زواج النَّبيّ صلى الله عليه وسلم من السَّيدة خديجة ما يلجم ألسنة وأقلام الحاقدين على الإسلام، من المستشرقين وعبيدهم العلمانيّين، الَّذين ظنُّوا أنَّهم وجدوا في موضوع زواج النَّبيّ صلى الله عليه وسلم مقتلاً يصاب منه الإسلام، وصوَّروا النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم في صورة الرَّجل الشَّهوانيّ الغارق في لذَّاته، وشهواته، فنجد: أنَّ النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم عاش إلى الخامسة والعشرين من عمره في بيئةٍ جاهليَّةٍ عفيف النَّفس، دون أن ينساق في شيءٍ من التَّيَّارات الفاسدة؛ الَّتي تموج حوله، كما أنَّه تزوَّج من امرأةٍ لها ما يقارب ضعف عمره، وعاش معها دون أن تمتدَّ عيناه إلى شيءٍ ممَّا حوله، وإنَّ ما حوله الكثير، وله إلى ذلك أكثر من سبيل، إلى أن يتجاوز مرحلة الشَّباب، ثمَّ الكهولة، ويدخل في سن الشُّيوخ، وقد ظلَّ هذا الزَّواج قائماً حتَّى توفِّيت خديجة رضي الله عنها عن خمسةٍ وستين عاماً، وقد ناهز النَّبيُّ صلى

الله عليه وسلم الخمسين من العمر، دون أن يفكِّر خلالها بالزَّواج بأيّ امرأةٍ أخرى، وما بين العشرين والخمسين من عمر الإنسان هو الزَّمن الَّذي تتحرَّك فيه رغبة الاستزادة من النِّساء، والميل إلى تعدُّد الزَّوجات للدَّوافع الشَّهوانية؛ ولكن النبي صلى الله عليه وسلم لم يفكر في هذه الفترة في أن يضمَّ إلى خديجة مثلها من النِّساء، زوجةً، أو أمَةً، ولو أراد؛ لكان الكثير من النِّساء، والإماء طوعَ بنا

بناء الكعبة:

أي على يد قريش في حياة النبي ليه قبل بعثته فمر عليه الدهر فانهدم فبنته قال موسى بن عقبة:

إنما حمل قريشاً على بناء الكعبة أن السيل كان يأتي من فوقها من فوق الردم الذي صنعوه فأخربه، فخافوا أن يدخلها الماء، وكان رجل يقال له مليح سرق طيب الكعبة، فأرادوا أن يشيدوا بناءها وأن يرفعوا بابها حتى لا يدخلها إلا من شاءوا، فأعدوا لذلك نفقة وعمالاً.

وبإسناد صحيح عن الزهري أن امرأة جمرت الكعبة فطارت شرارة في ثياب الكعبة فأحرقتها فذكر قصة بناء قريش لها. وكان ممن شارك في بناء الكعبة المشرفة النبي وكان عمر النبي ل خمساً وعشرين سنة.

روى البخاري عن جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: لَمَّا بُنِيَتْ الْكَعْبَةُ ذَهَبَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَبَّاسٌ يَنْقُلَانِ الْحِجَارَةَ فَقَالَ عَبَّاسٌ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : اجْعَلْ إِزَارَكَ عَلَى رَقَبَتِكَ يَقِيكَ مِنْ الْحِجَارَةِ فَخَرَّ إِلَى الْأَرْضِ وَطَمَحَتْ عَيْنَاهُ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ أَفَاقَ فَقَالَ: ((إِزَارِي إِزَارِي فَشَدَّ عَلَيْهِ إِزَارَهُ)) رواه البخاري(٣٨٢٩). وفي رواية فما رؤية له عورة بعد ذلك .

غلما أرادوا أن يضعوا الحجر الأسود اختصموا فيه فقالوا: تحكم بينا أول من يخر من هاده السكة فكان النبي صلى الله عليه وسلم أول من خرج منها فحكم بينهم أن يجعلوه في ثوب ثم يُرفعه من كل قبيلة رجل وذكر أبو داود الطيالسي في هذا الحديث أنهم قالوا: نحكم أول من يدخل من باب بني شيبة فكان النبي ل أول من دخل منه فأخبروه فأمر بثوب فوضع الحجر في وسطه وأمر كل فخذ أن يأخذوا بطائفة من الثوب فرفعوه ثم أخذه فوضعه بيده.

إرهاصات النبوة ونزول الوحي:

عندما اقترب رسولنا الكريم محمد صلّى الله عليه وسلم من عمره أربعين عاماً حُبِّب إليه الخلاء (الجلوس لوحده)، فكان النّبي الكريم محمد صلّى الله عليه وسلم يأخذ معه التمر والماء أيضاً، حيث كان يذهب إلى غار حراء الذي يبعد عن مكة المكرمة مسافة ميلين.

الإرهاصات هي : (الأمورُ الخارِقُة للعادة والتي تظهر للنبي قبل بعثته).
ولنستعرض جانبًا من الإرهاصات والدلائل على نبوته صلى الله عليه وسلم، ونبدأ بالتي حصلت عند مولده صلى الله عليه وسلم:

فمما حصل إبان مولده ارتجاج إيوان كسرى فارس، وسقوط أربع عشرة شرفة من شرفاته، وهو ما أُوِّل بسقوط أربعة عشر ملكًا من ملوكهم، فسقط عشر منهم في أربع سنوات، وأربعة سقطوا في عهد الفتح الإسلامي، كذلك خمدت نار فارس التي لم تخمد منذ ألف سنة ومن الإرهاصات ما حصل له صلى الله عليه وسلم عندما كان مسترضعًا في آل حليمة، حيث تتحدث حليمة أنها لما عُرض عليها الرسول صلى الله عليه وسلم في البداية أعرضت كما أعرضت بقية المراضع لأنه كان يتيمًا، وما عسى أن يأتي من وراء اليتيم. ولما لم تجد ما تأخذه عادت وحملت هذا اليتيم، وما إن حملته حتى أقبل عليها ثدياها بالحليب، وإذ بناقتها التي لم تكن تحلب منذ زمن إذا بها حاقل أي مليئة بالحليب، فقال لها زوجها: تعلمين والله يا حليمة لقد أخذت نسمة مباركة. ثم تقول حليمة: ثم خرجنا وركبت أتاني (أنثى الحمار) وحملته عليها معي، فوالله لقطعت بالركب ما لم يقدر عليها شيء من حمرهم حتى إن صواحبي قلن لي: يا ابنة أبي ذؤيب، ويحك أربعي علينا، أليست هذه أتانك التي كنت خرجت عليها؟! فقلت لهن: بلى والله إنها لهي هي. فقلن: والله إن له لشأنًا!!

ومن الإرهاصات ما حصل له صلى الله عليه وسلم وهو عند آل حليمة من حادثة شق الصدر حيث تقول حليمة: إنه لفي بهم لنا مع أخيه خلف بيوتنا إذ أتانا أخوه يشتد فقال لي ولأبيه: ذاك أخي القرشي قد أخذه رجلان عليهما ثياب بيض فأضجعاه فشقّا بطنه. قالت: فخرجت أنا وأبوه -أي زوج حليمة- نحوه فوجدناه قائمًا منتقعًا متغيرًا وجهه، فالتزمته والتزمه أبوه فقلنا له: ما لك يا بني؟ قال: جاء لي رجلان عليهما ثياب بيض فأضجعاني وشقا بطني فالتمسا فيه شيئًا لا أدري ما هو.

ومن الإرهاصات اعتراف بحيرا الراهب بنبوته، ووصيته عمه أبي طالب به، وأن يحذر عليه اليهود.. فلقد خرج صلى الله عليه وسلم مع قومه وهو في الثانية عشرة

من عمره، وكان بحيرا الراهب علمًا في تلك المنطقة لعلمه وفضله، وأطل من صومعته ورأى ركبًا وهناك غلام تظله غمامة ولم يكن يرى هذا المشهد من قبل، فعمل لهم وليمة ودعاهم إليها، ولم يكن يعبأ بهم من قبل، فلما حضروا لم يحضر الغلام محمد صلى الله عليه وسلم، فأرسل في طلبه، ولما حضر تفرسه وسأله عن خاتم النبوة الموجود على ظهره فعرف عند ذلك أنه هو النبي المبشر به في التوراة والإنجيل، فأوصى به عمه أبا طالب خيرًا، وحذره من أن يغتاله اليهود.

ومن الإرهاصات في شبابه حماية الله له من أن يحضر منكرًا، فقد سمع يومًا عزفًا بالمزامير والدفوف، فهمّ أن يذهب ويحضر ذلك العرس فنام ولم يصح إلا على حرارة الشمس من اليوم التالي.

ومن الإرهاصات سلام الشجر والحجر عليه صلى الله عليه وسلم عندما كان يسير في مكة :

ومن مظاهر الكمال المحمدي أنه لم تكشف له عورة قط، فيُروى أنه كان يشارك بني قومه في بناء الكعبة وكان قومه يرفعون أزرهم على عواتقهم يتقون بها ضرر الحجارة، وكان هو يضع الحجارة على عاتقه وليس عليه شيء، فرآه عمه العباس رضي الله عنه فقال له:لو رفعت من إزارك على عاتقك حتى لا تضرك الحجارة. ففعل صلى الله عليه وسلم فبدت عورته، فوقع على وجهه فوق الأرض ونودي: "استر عورتك". أي:ناداه ملك، فما رؤيت له بعد ذلك عورة أبدًا.

ومن مظاهر الكمال: أن الله بغّض إليه الأوثان وكل أنواع الباطل وما كان يأتيه أهل قريش من الغناء وشرب الخمر حيث ورد عنه صلى الله عليه وسلم:(لما نشأت بغّضت إلي الأوثان، وبغّض إلي الشعر، ولم أهم بشيء مما كانت الجاهلية تفعله إلا مرتين كل ذلك يحول الله تعالى بيني وبين ما أريد من ذلك، ثم ما هممت بشعر بعدهما حتى أكرمني الله برسالته...)(الشفا للقاضي عياض ج1/ 8).

ولا شكّ هذا إنما كان لحماية الله تعالى له صلى الله عليه وسلم من كل مسيء إلى مقامه السامي ومنزلته العالية.

ومن الإرهاصات ما ورد عن ميسرة لما خرج مع النبي صلى الله عليه وسلم في رحلة تجارة خديجة بنت خويلد إلى الشام أنه رأى ملكين يظللانه من حر الشمس إذا اشتدت الهاجرة، كما أنه صلى الله عليه وسلم نزل تحت ظل شجرة قريبة من

صومعة راهب، فرآه الراهب، فسأل ميسرة عنه فقال له: هو رجل من أهل الحرم قرشي. فقال له الراهب: إنه ما نزل تحت هذه الشجرة قط إلا نبي.

ومن الإرهاصات الرؤيا الصادقة قبيل مبعثه، حيث كان لا يرى رؤيا في ليله أو نهاره إلا جاءت مثل فلق الصبح. فيروى عن عائشة رضي الله عنها أنه أول ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم الرؤيا الصادقة حيث كان لا يرى رؤيا في نومه إلا جاءت مثل ما رأى كفلق الصبح. قالت: وحبب إليه الخلوة، فكان يخلو بغار حراء يتحنث؛ أي يزيل الحنث عنه، وهو ما يراه أو يسمعه من الشرك والباطل بين أفراد قومه من قريش.

هذا غيض من فيض، وقليل من كثير من مظاهر الكمال البشري التي سبقت بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم. والحمد لله رب العالمين.

بعد أن حُبِّبت العُزلة والخلوة إلى نفس المصطفى صلى الله عليه وسلم، ظل يتردد على جبل النور، ذلك الجبل القابع في شمال مكة، والذي طالما قضى في رحابه الأيام والليالي الطوال، مختليا بنفسه في غار حراء على قمة الجبل، يتعبد لله، ويتأمل في ملكوت السماوات والأرض، ويتأمل حياة البشر من حوله وما هم عليه من ظلم وضلال وفساد استشرى في جسد المجتمع المكي، فتُفتح عليه صلى الله عليه وسلم من حين لآخر نفحات إلهية من السماء تحمل إلى قلبه وعقله النور الإلهي المقدّس.

فكانت إرهاصات النبوة تأتيه بين الحين والآخر، لتهيئ روحه تدريجيًّا لتلقّي السرّ الإلهي (النبوة)، فما كان الله تعالى ليمُنَّ عليه بالنبوة ويصطفيه لمقام الرسالة إلا وقد هيَّأه لتلك المنزلة السامية، وهي تلقيه وحي السماء وبعثه لهداية الناس وإرشادهم.

فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بين الحين والآخر يرى ضوءًا ويسمع صوتًا، دون أن يرى أثرًا لأحد! فكان -صلوات ربي وسلامه عليه- لا يمر بحجر ولا شجر إلا سلَّم عليه، يسمع صوت «السلام عليك يا رسول الله»،

وإذا التفت رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يرى أحدًا، وقد أخبر صلى الله عليه وسلم بذلك: «إِنِّي لَأَعْرِفُ حَجَرًا بِمَكَّةَ كَانَ يُسَلِّمُ عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ أُبْعَثَ إِنِّي لَأَعْرِفُهُ الْآنَ» (رواه أحمد).

وظل على ذلك الحال: يسمع صوتا ويرى ضوءًا، دون أن يرى أثرًا لأحد، حتى خشي صلى الله عليه وسلم على نفسه الجنون، فحكى ذلك لزوجته خديجة -رضي

الله عنها-: «إِنِّي أَرَى ضَوْءًا، وَأَسْمَعُ صَوْتًا، وَإِنِّي أَخْشَى أَنْ يَكُونَ بِي جَنَنٌ» (رواه أحمد)، فأشفقت عليه وهدَّأت من روعه

ثم ذهبت إلى ابن عمها ذلك القس الطاعن في السن (ورقة بن نوفل)، فقصَّت عليه ما يحدث لزوجها، فيقول لها: «إِنْ يَكُ صَادِقًا، فَإِنَّ هَذَا نَامُوسٌ مِثْلُ نَامُوسِ مُوسَى، فَإِنْ بُعِثَ وَأَنَا حَيٌّ فَسَأُعَزِّزُهُ وَأَنْصُرُهُ وَأُومِنُ بِهِ» (رواه أحمد). وكأن ذلك القس النصراني كان يحس ويترقب... فالحال على الأرض أكثر من سيئ، والبشر غارقون في ظلمات الضلالة، وهم بحاجة إلى منقذ يأخذ بيد هذا الإنسان المرتكس في الوحل، ويرتقى به إلى خالقه، وإلى ما يصلحه ويرشده، بعد أن انقطع وحي السماء عن الأرض أكثر من ستمائة عام.

خلوة الرسول ﷺ في غار حراء

ماهو غار حراء

هو المكان الذي كان يختلي فيه الرسول ﷺ في البداية قبل نزول القرآن عليه، وفيه نزل عليه الوحي لأول مرة ، يقع غار حراء في جبل النور، الذي سمّي بهذا الاسم لظهور أنوار النبوة فيه، وهو جبل تشبه قمته سنام الجمل، ويبلغ ارتفاعه 624 متراً، ويبعد 4 كيلومتراً بالاتجاه الشمالي الشرقي من مكة المكرمة . ويتكوّن غار حراء من فتحة في داخل صخور جبل النور يبلغ طولها 4 أذرع، وعرضها ذراع وثلاثة أرباع الذراع، ومساحته صغيرة جداً ولا تتسع سوى لعدد قليل من الأشخاص، كما أنّ مدخله ضيّق جداً، ويمكن الدخول إليه فقط عبر إمالة الرأس؛ لتخطي الانحناءات الكثيرة الموجودة هناك، ومن الجدير بالذكر أنّه يمكن رؤية مكة المكرمة من أعلى جبل النور.

تعبد الرسول ﷺ في غار حراء

أن الرسول ﷺ كان يختلي في غار حراء بنفسه شهرًا في السنة لعدَّة سنوات قبل البعثة ، حيث كان الرسول ﷺ يتزود من ام المؤمنين خديجة رضي الله عنها يأخذ الزاد ويأتي الى هذا الغار

وتقول أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها و ارضاها يتحنث ليالي ذات عدد ويعود الى بيته فـ هو يجمع ما بين الخلوة وصفاء النفس والتفكر والبُعد حِساً ومعنى عن ماعليه قُريش من الرذائل وفي نفس الوقت لا يترك أهله في ضياع يتحنث ليالي ذات عدد أي يسهل عدها ولا تطول ثُم ينزل فـ يرى زوجته خديجة وقد ألفت ذلك

من النبي صلى الله عليه وسلم وهو الى الآن لم ينبأ ولم يُرسل ولا تعلم عنه أكثر من أنه رجُل عز في الرجال مثله تراقب صنيعه وكرمه وصبره و إغاثته للملهوف وإعانة الناس على الحق و بعده عن الرذائل فـ لم يتعلق بما تتعلق به قريش من الرذائل ولا طرفت عين ولا أقل من ذلك لا الأصنام كان يعبدها

بـل رسولنا ﷺ كان يُبغض هذه الأصنام، ويُدرك أنها ليست الطريقة السليمة للوصول إلى الله عز وجل، وظهر هذا البغض للأصنام في قصة حياته صلى الله عليه وسلم قبل البعثة في أكثر من موقف؛ منها: ما كان من حواره مع خديجة رضي الله عنها قبل البعثة -على الأغلب- حين قال لها: "أَيْ خَدِيجَةُ، وَاللهِ لاَ أَعْبُدُ اللاَّتَ، وَاللهِ لاَ أَعْبُدُ الْعُزَّى أَبَدًا". فردَّت عليه خَدِيجَةُ: خَلِّ اللاَّتَ، خَلِّ الْعُزَّى.

- واللات، العزى هي الأصنام التي عبدها العرب قبل الإسلام.

.اللات.

اسم صنم كانت تعبده ثقيف وتعطف عليه العزّى, فورد أنها صخرة كان يجلس عليها رجل كان يبيع السمن واللبن للحُجّاج في الزمن الأول, وقيل إن اللاّتّ كان يَلتّ له السويقَ للحجّ على صخرة معروفة تسمى صخرة اللاتّ، وكان اللاتّ رجلاً من ثقيف، فلما مات قال لهم عمرو بن لحيّ: لم يمت ولكن دخل في الصخرة، ثم أمرهم بعبادتها وأن يبنوا عليها بنياناً يسمّى اللات, وقيل: كانت صخرة بيضاء مربعة بَنت عليها ثقيف بنية.

.العزى.

إن أهل التأويل اختلفوا فيها ، فقال بعضهم : كانت شجرات يعبدونها .

وهو قول مجاهد .

وقال آخرون : كانت العُزَّى حَجَرا أبيض ، وهو قول سعيد بن جبير .

وقال آخرون : كان بيتا بالطائف تعبده ثقيف ، وهو قول ابن زيد .

وقال آخرون : بل كانت ببطن نَخْلة " انتهى بمعناه من " تفسير الطبري "

والراجح أن العزى كانت بيتا بنخلة يعبدونه ويعظمونه كما يعظمون الكعبة ، على ثلاث شجرات مقدسة عندهم ، فيها شيطانة ، فيعبدون البيت ويطوفون به ، وتكلمهم هذه الشيطانة من داخله ، فتزيدهم غيا إلى غيهم ، وضلالا إلى ضلالهم ، فبعث

رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد رضي الله عنه ، فهدم البيت ، وقطع الشجرات ، وقتل الشيطانة - وهي التي كانوا يعبدونها في الحقيقة من دون الله .

فـ كان يتحنث ينقطع يتخلص من كل نقص وإثم ويطلع من ذلك الجبل على الكعبة فيأتيه من نورها ما يأتيه ويرى القوم في مقامهم الحقيقي لأنه يشرف عليهم من علو

حتى أتم أربعين عام في شهر رمضان من ذلك العام قدم للجبل وارتقاه كما جرت به سننه من قبل و زودته خديجة رضي الله عليها بالطعام والشراب كما كانت تزوده من قبل وصعد الجبل ولكن تلك الليلة كانت ليلة مُختلفة كُلياً حيث كان الرّسول - صلّى الله عليه وسلّم- معتكفاً فيه مرّة فدخل عليه فجأة جبريل -عليه السّلام- بهيئة رجل لا يعرفه ولم يره من قبل، ولم يكن ذلك شيئاً مخيفاً إلى حدٍّ كبير إلّا إنّ ما أخاف الرسول -صلّى الله عليه وسلّم- هو الطريقة التي عامله بها، فقد قال جبريل - عليه السّلام- لرسول الله -عليه الصّلاة والسّلام- مباشرةً عند دخوله عليه (اقرأ)، حيث كان الرّسول أميّاً لا يعرف القراءة ولا الكتابة ولا يعرف ماذا يريد منه هذا الرجل فأجابه: (ما أنا بقارئ)، فقام جبريل -عليه السّلام- بالاقتراب من الرّسول - صلّى الله عليه وسلّم- واحتضانه بشدّة حتى بلغ به الجهد والتعب، ثمّ تركه وأعاد القول له: (اقرأ)، فأجاب رسول الله -عليه الصّلاة والسّلام- مرّةً أخرى: (ما أنا بقارئ)، فاحتضنه جبريل -عليه السّلام- مرّةً ثانية بشدّة حتى بلغ التعب من الرسول ثمّ تركه وأعاد الأمر عليه مرّةً ثالثة فقال له: (اقرأ)، فأجاب الرّسول مجدّداً: (ما أنا بقارئ)، فاحتضنه جبريل -عليه السّلام- مرّةً أخيرة بشدّة كبيرة حتى تعب الرّسول صلّى الله عليه وسلّم، ثمّ تركه وقرأ عليه أوّل آيات نزلت من القرآن الكريم وهي قول الله عزّ وجلّ: (اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ*خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ*اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَم*الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ*عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ).

تحبيب الخلاء لرسول الله صلى الله عليه وسلم

تقول عائشة رضي الله عنها: "ثُمَّ حُبِّبَ إِلَيْهِ الْخَلاَءُ، وَكَانَ يَخْلُو بِغَارِ حِرَاءٍ فَيَتَحَنَّثُ فِيهِ -وَهُوَ التَّعَبُّدُ- اللَّيَالِيَ ذَوَاتِ الْعَدَدِ قَبْلَ أَنْ يَنْزِعَ إِلَى أَهْلِهِ وَيَتَزَوَّدُ لِذَلِكَ، ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى خَدِيجَةَ فَيَتَزَوَّدُ لِمِثْلِهَا، حَتَّى جَاءَهُ الْحَقُّ"[1].

وصياغة عائشة رضي الله عنها تُوحي أن تحبيب الخلاء لرسول الله صلى الله عليه وسلم جاء بعد الرؤيا الصادقة، التي كانت قبل البعثة بشهور ستة؛ بينما في رواية ابن إسحاق أنه صلى الله عليه وسلم كان يُجاور -أي يعتكف- في غار حراء في

شهر رمضان من كل سنة، فكان يختلي في غار حراء قبل الرؤيا الصادقة، فكيف الجمع بينهما؟

غالب الأمر أنه صلى الله عليه وسلم كان بالفعل يختلي في غار حراء بنفسه شهرًا في السنة لعدَّة سنوات قبل البعثة، وليس عندنا دليل ثابت يُحَدِّد عدد هذه السنوات، ويبدو أنه كان يأخذ معه طعامًا كثيرًا يعطي منه للمساكين الذين يذهبون إليه في هذا المكان البعيد فيتصدَّق عليهم؛ ونلحظ هذا في رواية عبيد بن عمير في ابن إسحاق حين قال: "فَكَانَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم يُجَاوِرُ ذَلِكَ الشَّهْرَ مِنْ كُلِّ سَنَةٍ يُطْعِمُ مَنْ جَاءَهُ مِنَ الْمَسَاكِينِ"[2].

ولكن في الشهور الستة الأخيرة حُبِّب إليه الخلاء كما تقول عائشة رضي الله عنها، وهذا يحتمل أمرين:

أمَّا الأمر الأول فهو أن يكون الرسول صلى الله عليه وسلم الآن مشتاقًا إلى الخلاء، محبًّا له، وكان قبل ذلك في مرحلة سابقة؛ وكأنه يدفع نفسه إليه، للتفكُّر في الله، وكيفية عبادته، أمَّا الآن في هذه المرحلة فقد صار محبًّا للخلاء، باحثًا عنه؛ ونحن في مراحلنا الإيمانية قد نمرُّ بمثل هذا، فقد نفعل عبادةً ما كالصلاة أو الصيام أو النفقة أو العمرة فقط لأن الله أمرنا بها، فهي بالنسبة إلينا كواجب يتحتَّم علينا فعله، ولكننا قد ننتقل إلى مرحلة إيمانية أخرى نشعر فيها بالحبِّ الشديد لهذه العبادة؛ حتى إننا ننتظر وقتها بفارغ الصبر، فهذا هو ما نقصده عند حديثنا عن حبِّ رسول الله صلى الله عليه وسلم للخلاء في المرحلتين، مع الأخذ في الاعتبار أن هذا الحبَّ كان مخالفًا لأعراف الناس وطبيعتهم، فلم يكن هناك مَنْ يفعل ذلك من أهل مكة في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم، خاصة وأنَّ المكان الذي اختاره موحش وقفر ومخيف، وقد اشتُهِر في العرب أمر الجن والشياطين؛ فكانت هذه الأماكن البعيدة أماكن مرعبة لكل أهل مكة بشكل عام، هذا بالإضافة إلى أن الباحث عن الحقيقة لا يذهب عادة إلى مثل هذه الأماكن، بل يذهب إلى أهل العلم؛ ولكن هذا لم يحدث مع رسولنا صلى الله عليه وسلم، فلم يذهب إلى ورقة بن نوفل، أو زيد بن عمرو، أو غيرهم ممن يتكلمون في أمور العبودية لله عز وجل؛ فكل هذا يُبَيِّن أنَّ رسولنا صلى الله عليه وسلم عندما ذهب إلى غار حراء ذهب ليعتكف مخالفًا بذلك طرق الناس وأعرافهم، وهذا الذي تحمله كلمة عائشة رضي الله عنها: "حُبِّبَ إِلَيْهِ الخَلاَءُ". أي أنَّ الله عز وجل حَبَّب إليه أمرًا لا يحبُّه الناس في المعتاد.

وأما الأمر الثاني فقد يكون الرسول صلى الله عليه وسلم قد ازداد حبًّا في الخلاء؛ حتى لم يَعُدْ يفعله في شهر رمضان فقط؛ إنما فعله عدَّة شهور من الشهور الستة السابقة للبعثة، ويُؤيد ذلك قول عائشة رضي الله عنها: "ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى خَدِيجَةَ فَيَتَزَوَّدُ لِمِثْلِهَا". ثم قالت: "حَتَّى جَاءَهُ الحَقُّ". فمعنى هذا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان في فترة الرؤيا الصالحة كلها -أي في كل الشهور الستة- يُكرِّر العودة إلى غار حراء للخلاء، وأن هذا استمر حتى لحظة مقابلة الملك. ويُحتمل الأمران معًا.

والسؤال هنا: ماذا كان يفعل صلى الله عليه وسلم في هذه الخلوة؟

تقول عائشة رضي الله عنها: "فيتحنَّث". ثم يفسر ابن شهاب الزهري رحمه الله - على الأغلب- هذه الكلمة بقوله: وهو التعبد [3] . وبعض العلماء ينسب هذا التفسير إلى "عائشة رضي الله عنها[4].

وما التحنث الذي وصفته "عائشة رضي الله عنها؟

واضح أن العرب في الجاهلية كانوا بشكل عامٍّ يؤمنون أن الله هو خالق هذا الكون وخالقهم، ولم يَدَّعِ أحد أن اللات والعزى أو هُبل أو غيرها من الأصنام خلقت السماوات والأرض، أو خلقت الإنسان؛ يقول الله عز وجل في كتابه الكريم: {وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللهُ} [لقمان: 25]. لكن العرب كانوا يعبدون الأصنام لكي يتخذوها شفعاء عند الله، أو ليتقربوا بها عند الله؛ قال تعالى: {وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ مَا لاَ يَضُرُّهُمْ وَلاَ يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلاَءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللهِ} [كان الرسول يُبغض هذه الأصنام، ويُدرك أنها ليست الطريقة السليمة للوصول إلى الله عز وجل، وظهر هذا البغض للأصنام في قصة حياته صلى الله عليه وسلم قبل البعثة في أكثر من موقف؛ منها: ما كان من حواره مع خديجة رضي الله عنها قبل البعثة -على الأغلب- حين قال لها: "أَيْ خَدِيجَةُ، وَاللهِ لاَ أَعْبُدُ اللاَّتَ، وَاللهِ لاَ أَعْبُدُ الْعُزَّى أَبَدًا". فردَّت عليه خَدِيجَةُ: خَلِّ اللاَّتَ، خَلِّ الْعُزَّى[5].

ويشهد لبغضه صلى الله عليه وسلم للأصنام -أيضًا- موقفه مع زيد بن حارثة رضي الله عنه، وكان هذا قبل البعثة، فعن زيد بن حارثة رضي الله عنه قال: "وَكَانَ صَنَمَانِ مِنْ نُحَاسٍ يُقَالُ لَهُمَا: إِسَافُ وَنَائِلَةُ. فَطَافَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم -

كان رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: "لاَ تَمَسَّهُ أَلَمْ تُنْهَ؟" قَالَ: فَوَالَّذِي أَكْرَمَهُ وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ الْكِتَابَ مَا اسْتَلَمَ صَنَمًا حَتَّى أَكْرَمَهُ بِالَّذِي أَكْرَمَهُ، وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ الْكِتَابَ"[6]فكان صلى الله عليه وسلم يذهب إلى الغار يتفكَّر في خالق هذا الكون؛ لكنه لم يكن يعرف على وجه الحقيقة كيف يعبده، ولا على أي شريعة، ولعلَّ هذا هو أحد المعاني في قوله عز وجل: {وَوَجَدَكَ ضَالاًّ فَهَدَى} [الضحى: 7]. فالرسول صلى الله عليه وسلم كان يعرف أن الكون له خالق وله ربٌّ، لكن لم يكن يعرف على أي شريعة يعبده، وبأي طريقة يتقرَّب إليه، خاصة أن شريعة إبراهيم عليه الصلاة والسلام الصحيحة كانت قد اندثرت في معظمها عبر السنين، وهذا هو تفسير الضلال في الآية[7]، وقريب من هذا المعنى -أيضًا- ما قاله الله سبحانه وتعلى: {وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلاَ الإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} [الشورى: 52]. فالآيات تُوَضِّح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل البعثة لم يكن يدري ما الكتاب، وما الإيمان؛ ولذلك كان يجلس في غار حراء يتفكَّر في هذا الكون وخالقه، وكيف تكون طريقة الإيمان به.

والحق أنه من العجيب أن رسولنا صلى الله عليه وسلم لم يبحث في شرائع النصرانية عند ورقة بن نوفل، ولم يبحث في عقيدة الحنيفية عند زيد بن عمرو بن نفيل، ولم يبحث في شرائع اليهود عند يهود يثرب، وبها أخواله صلى الله عليه وسلم، وكان من الممكن أن يُسافر إلى هذه البلاد ليسمع منهم، فأنا أرى أن هذا من حِفْظِ الله تعالى له؛ حتى لا يقال: إنه نقل عنهم. كما أن عقيدتهم شابها التحريف الشديد؛ ولذلك أراد الله سبحانه أن يحفظ رسوله من هذا التحريف، وأبقاه في غار حراء هذه الفترة يتفكَّر في خالق الكون دون أن يُفَكِّر في سؤال هذه الطوائف عن عقيدتها.

تفكر رسول الله في غار حراء

وكان صلى الله عليه وسلم من هذا المكان في غار حراء يُشاهد الكعبة؛ ذلك البيت المقدَّس الذي يعلم -كما يعلم كل العرب- أنه بيت الله الحرام، وأن له مكانة عند الله وحرمة لا يُدانيها أي مكان آخر في الدنيا؛ ولعلَّ هذا هو السرُّ من وراء اختيار غار حراء تحديدًا؛ لأن الذي يجلس في هذا الغار -وإن كان بعيدًا عن مكة بدرجة كبيرة- يستطيع أن يرى بوضوح بيت الله الحرام من هذا المكان النائي

نزول الوحي

أ - كيف نزل الوحي على الرسول - صلى الله عليه وسلم-

جاء الوحي إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بصورٍ متعدّدة، وفيما يأتي ذكرها بشيءٍ من التفصيل:

1 - الرؤيا الصادقة: وهي أوّل ما بدأ من الوحي على سيّدنا محمد، فما كان يُشاهده في منامه يراه في الحقيقة، وقد امتاز الأنبياء بأن الله -تعالى- أبعد عنهم خبث الشيطان وأضغاث الأحلام، فلا يرون أثناء نومهم ما يكون من ذلك مثل ما يرى باقي البشر، وكلّ ما يراه الرسول في نومه وحيٌ أوحاه الله -تعالى- إليه، وقد ورد ذلك في القرآن الكريم في العديد من المواقف، منها ما رآه إبراهيم -عليه السلام- بأنّه يذبح ابنه إسماعيل، فقال: (إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى)،وما كان سؤال إبراهيم لابنه عن هذا الأمر إلا من باب عِلمِه أنّ هذا الأمر واجب التنفيذ، وأنّه لا يتعلّق به وحده، ولِعلمِه بحتميّة استجابة ابنه لأمر الله -تعالى- كما استجابت أمّه من قبله حين أخذها زوجها إلى وادٍ غير ذي زرع، ومنه ما أخبر الله به عن صدق رؤيا النبيّ فقال: (لَّقَدْ صَدَقَ اللَّـهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِن شَاءَ اللَّـهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ)،فقد تحقّق وعد الله بنصرة نبيّه وفتح مكة، رغم ما كان قبل الفتح من الظلم والأذى الواقع على المسلمين.

2 - حضور الوحي بهيأة رجل: ففي الحديث الذي ترويه عائشة -رضي الله عنها- عن النبيّ -صلى الله عليه وسلم- يقول: (وأَحْيانًا يَتَمَثَّلُ لِيَ المَلَكُ رَجُلًا فيُكَلِّمُنِي، فأعِي ما يقولُ)، وذلك بأنّ الله -سبحانه- أذهب عنه ما هو زائدٌ في خلقته، فأصبح كالبشر، وهذا تفسير إمام الحرمين -رحمه الله-، وقال سراج الدين البلقيني -رحمه الله- إن ذلك ليس شرطاً، فقد يكون ضمّ أجنحته حين أتى للنبيّ، ثم يعود بعد ذلك إلى هيئته الحقيقيّة بعد ذهابه عن رسول الله، ونفى ذلك ابن حجر -رحمه الله-، وقال بعدم حدوث تغيّرٍ في

شكله، وإنما يظهر لرسول الله بهيئة رجلٍ؛ حتى يكون مألوفاً لنفسه، وتأنيساً له.

3 - رؤية النبي للملك بهيئته الملائكيّة التي خلقه الله عليها، وله ستّمئة جناح: وقد تكرّر ذلك مرّتين؛ المرة الأولى كانت حين طلب منه رسول الله أن يُريه نفسه، فرآه في الأفق الأعلى، وكما قال ابن كثير أنّ هذه المرة كانت في غار حراء في أوائل نزول الوحي وبعثة النبيّ، أما المرة الثانية فكانت في ليلة الإسراء والمعراج في السماء السابعة عند سدرة المنتهى.[٦] صلصلة الجرس: ففي الحديث عن عائشة -رضي الله عنها- عن النبيّ -عليه الصلاة والسلام- قال: (أَحْيانًا يَأْتِينِي مِثْلَ صَلْصَلَةِ الجَرَسِ، وهو أَشَدُّهُ عَلَيَّ، فيُفْصَمُ عَنِّي وقدْ وعَيْتُ عنْه ما قالَ)وصلصلة الجرس تشبيهٌ بصوت وَطَنِين الجرس الشديد، وهذه الحالة هي أشدّ ما يكون من الوحي على النبيّ، وقد فسّر البلقيني سبب شدّتها بأنها كمقدّمةٍ لشيءٍ عظيمٍ سيأتي به الوحي، وفسّرها بعضهم بكونها دافعاً لرسول الله كي يستعدّ لما سيتلقّاه منه، ومن مظاهره أنّ النبيّ كان يتصبّب عرقاً في اليوم الشديد البرودة، وإن كان يركب دابّته فإنّها ترقد من شدّة الوحي، وفي مرّةٍ من المرّات وحين جاءه الوحي بهذه الهيئة، كان يجلس وفخذه على فخذ زيد بن ثابت، فثقلت عليها حتى كادت ترضّها، وفي هذه الحالة يبقى رسول الله بوعيه أثناء الوحي وبعده، بدليل ما رواه عبد الله بن عمرو -رضي الله عنه-، حيث قال: (سألتُ النبيَّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ، فقلتُ: يا رسولَ اللهِ، هل تُحسُّ بالوحيِ، فقال رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ: نعم، أسمعُ صَلاصلَ ثمَّ أسكتُ عندَ ذلكَ، فما من مرةٍ يوحَى إليَّ إلا ظننتُ أنَّ نفسي تَفيضُ).

4 - الإلهام: حيث يُلقيه الله -عزّ وجلّ- في قلب نبيّه حتى لا يبقى للشكّ مكان، ومن ذلك ما رواه عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه- عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: (إنَّ رُوحَ القُدُسِ نفث في رُوعِي أنَّ نَفْسًا لن تموتَ حتى تستكملَ رزقَها، فاتقوا اللهَ وأَجْمِلُوا في الطلبِ).

5 - **الكلام من وراء حجاب:** وقد وردت تلك الصورة أيضاً في القرآن الكريم عندما كلّم الله -سبحانه- موسى -عليه السلام-، حيث قال الله -تعالى- : (فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِن جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ* فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِن شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَن يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّـهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ).

ب - دليل نزول الوحي على الرسول يعدّ الوحي اتصالاً بين الله -سبحانه- وبين جبريل -عليه السلام-، وكذلك بين جبريل والأنبياء، وهو أمرٌ طبيعيٌّ لا استحالة فيه، ولا يُنكره إلا جاهلاً غافلاً عن الحقّ، وممّا يدلّ على حصول الوحي فعلاً؛ أنّ كل رسولٍ من الرّسل قد أخبر به وبوقوعه، وقد عَصَم الله -عز وجل- رسله، وكل ما أخبر به من عصَمَه الله فهو واقعٌ يقيناً، أمّا عصمة الرسل فقد ثبتت باليقين، وذلك من خلال ما أيّد الله - سبحانه- به رسله بالمعجزات الدالّة على صدقهم وصحّة ما يقولونه.

ج - أهمية الوحي ومكانته يعرّف الوحي في اللّغة بأنه "الإعلام الخفي السّريع الخاص بمن يوجّه إليه، بحيث يَخفى على غيره"، وفي الاصطلاح الشرعي؛ هو إعلام الله -تعالى- لأنبيائه بالشيء عن طريق المَلَك، أو الكتاب، أو الرؤيا، أو الإلهام، والوحي الذي أنزله الله -تعالى- على رسوله -صلى الله عليه وسلم- سواء بالقرآن الكريم أو السنة النبوية الشريفة، كان المجداف الذي أنقذ البشرية من الضلال والجهل والشرك بالله إلى الصراط المستقيم وأنوار المعرفة، وانعكس على سلوك المؤمن إيجاباً، وحماه من الوقوع في الضلال والانجرار وراء الفتن، وحقّق له السعادة في دنياه وآخرته، ففي الحديث الذي رواه أبو هريرة عن رسول الله -صلّى الله عليه وسلم- قال: (تركتُ فيكم شيئَينِ، لن تضِلوا بعدهما: كتابَ اللهِ، و سُنَّتي، ولن يتفرَّقا حتى يَرِدا عليَّ الحوضَ). ويعدّ الوحي المرشد الذي يقدم النصائح ويُبيّن الطريق الحقّ للإنسان، وهو من أجلّ وأعظم النِّعم التي أنعم الله -تعالى- بها على الإنسان، ويظهر ذلك من خلال سورة النحل التي ذكر الله فيها

العديد من النِّعم، لكنه قدّمها بذكر نعمة الوحي، فقال -سبحانه-: (يُنَزِّلُ المَلائِكَةَ بِالرّوحِ مِن أَمرِهِ عَلى مَن يَشاءُ مِن عِبادِهِ أَن أَنذِروا أَنَّهُ لا إِلـهَ إِلّا أَنا فَاتَّقونِ)، فالوحي هو الذي عرّف الناس بما يجب عليهم اتجاه ربهم.

عمر الرسول عند نزول الوحي ذهب العُلماء في أشهر أقوالهم، وأهلُ السيرة والآثار أن النبي -عليه الصلاة والسلام- كان عُمرهُ أربعين سنة عندما نزل الوحيُ عليه، لقول عبد الله بن عباس -رضي الله عنه-: (بُعِث النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم وهو ابنُ أربعينَ سنَةً)،[١][٢] وكان بداية نُزول الوحيِ عليه في شهرِ رمضان،[٣] وبقي النبي -عليه الصلاة والسلام- بعد نُزول الوحي عليه ثلاث عشرةَ سنة في مكة، ثُمّ هاجر بعدها إلى المدينة، وبقي فيها عَشرة سنين، وتوفي وكان عُمُره ثلاثٌ وستون سنة،[٤] فكانت مُدة نُزول الوحيّ عليه ثلاثًا وعشرين سنة، وكان ينزل الوحي عليه بالسورة كاملة، أو آياتٍ مُتفرِقات، فيضُمُّها النبي -عليه الصلاة والسلام- إلى بعضها حتى يكتَمِل نُزولها.

في أي شهر نزل الوحي ابتدأ نزول الوحي على الرسول -صلى الله عليه وسلم- في غار حراء بعد مُضيّ ثلاث سنين على عزلته وتعبّده فيه، وتعدّدت آراء المؤرّخين في تحديد الشهر الذي بدأ فيه نزول الوحي، فقيل في شهر ربيع الأول، وقيل في رمضان، والمشهور عند العلماء ورأي المباركفوري في كتابه الرحيق المختوم في سيرة النبي -صلى الله عليه وسلم- بعد النظر في الأدلّة؛ أنّه في شهر رمضان المبارك؛ لقول الله -تعالى-: (شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ)،ولقوله -تعالى-: (إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ)، وليلة القدر من أعظم ليالي شهر رمضان، وقد قال صاحب الرحيق المختوم إن ذلك يصادف يوم الاثنين الواحد والعشرين من شهر رمضان ليلاً، الموافق لليوم العاشر من شهر أغسطس سنة ستمئة وعشرة للميلاد.

اليوم الذي أُنزِل فيه القرآن الكريم نزلت أوّل آيات القرآن الكريم على قلب النبيّ -عليه الصلاة والسلام- يوم الاثنين قبل الهجرة إلى المدينة بثلاث

عشرة سنة، وعمر النبي حينها أربعون عاماً، وقد ورد ذلك القول عن جَمعٍ من الصحابة، والتابعين، والعلماء، منهم: ابن عباس، وأنس بن مالك، والواحدي، والبلقيني، وعُبيد بن عُمير، وأبو جعفر الباقر، ومن الأدلّة التي تُثبت نزول أوّل الآيات يوم الاثنين: ما أخرجه الإمام مسلم في صحيحه عن أبي قُتادة الأنصاريّ -رضي الله عنه- أنّه قال: (ذَاكَ يَوْمٌ وُلِدْتُ فِيهِ، وَيَوْمٌ بُعِثْتُ، أَوْ أُنْزِلَ عَلَيَّ فِيهِ)،[١][٢] وقد وردت روايةٌ أخرى عن شُعبة أنّه قال: (وَسُئِلَ عن صَوْمِ يَومِ الاثْنَيْنِ وَالْخَمِيسِ؟ فَسَكَتْنَا عن ذِكْرِ الخَمِيسِ لَمَّا نُرَاهُ وَهْمًا)،[١] وقال القاضي عياض إنّ النبيّ -عليه الصلاة والسلام- حينما أشار إلى اليوم الذي أُنزِل فيه القرآن عليه إنّما أراد بذلك يوم الاثنين دون غيره، وتدلّ على ذلك روايات الحديث التي تعضد ذلك، وقد ترك الإمام مسلم ذِكْر رواية شُعبة؛ باعتبار أنّ ذلك كان وَهْماً بالنسبة لديه،[٣] ويُشار إلى أنّ النبيّ -عليه الصلاة والسلام- كان قد بلغ من العُمر حينما بُعِث، وأُنزِل عليه القرآن أوّل مرّةٍ، أربعينَ عاماً،[٤] أمّا صِفة نزول القرآن أوّل مرّةٍ؛ فقد ذكر الإمام القرطبيّ في تفسير قَوْله -تعالى-: (إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ)،[٥] إنّ الليلة المباركة هي ليلة القَدْر، وورد أنّ نزول القرآن في تلك الليلة لم يكن مُنجَّماً؛ أي مُفرَّقاً، وإنّما كان نزوله جُملةً واحدةً؛ إذ أنزله الله من اللوح المحفوظ، ثمّ أُنزِل إلى بيت العزّة في السماء الدُّنيا، ثمّ أُنزِل بواسطة جبريل مُفرَّقاً على رسول الله، وذكر القرطبيّ قولاً عن الشعبي يدلّ على أنّ المقصود من نزول القرآن في ليلة القَدْر ليس نزوله جملةً واحدةً، وإنّما ابتداء نزول أولى آياته. الشهر الذي أُنزِل فيه القرآن الكريم اختلف العلماء في تحديد الشهر الذي بدأ فيه نزول القرآن على رسول الله، وذهبوا في ذلك إلى عدّة أقوالٍ، بيانها آتياً: نزول القرآن في شهر رمضان المبارك؛ استدلالاً بقَوْله -تعالى-: (شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ وقد ذهب إلى ذلك القَوْل جماعةٌ من أهل العلم، منهم: الواحدي، وابن كثير، ومحمد بن إسحاق، وعُبيد الله بن عُمير، ويحيى الصرصريّ، إلّا أنّهم اختلفوا في تحديد اليوم من شهر رمضان؛ فقِيل: اليوم السابع منه، وقِيل: الرابع عشر، وقِيل: السابع عشر كما رُوِي عن

أبي جعفر الباقر، وذهبت جماعةٌ من أصحاب رسول الله إلى القَوْل بنزوله في اليوم الرابع والعشرين من شهر رمضان؛ أي ليلة خمسة وعشرين؛ لاعتقادهم بأنّها ليلة القَدْر؛ واستدلالاً بما ورد عن واثلة بن الأسقع -رضي الله عنه- أنّه قال: (أُنزِلَت صحُفُ إبراهيمَ أولَ ليلةٍ من رمضانَ، وأُنزلَت التوراةُ لستٍّ مَضَين من رمضانَ، وأُنزِلَ الإنجيلُ لثلاثِ عشرةَ ليلةً خلَتْ من رمضانَ، وأُنزلَ الزَّبورُ لثمانِ عشرةَ خلَتْ من رمضانَ، وأُنزِلَ القرآنُ لأربعٍ وعشرين خلَتْ من رمضانَ)، وقد ذهب ابن حجر إلى القَوْل بنزول القرآن جملةً واحدةً في شهر رمضان، وكذلك ابتداء نزوله على النبيّ -عليه الصلاة والسلام- مُفرَّقاً في الشهر نفسه. نُزول القرآن في شهر ربيع الأوّل؛ وهو قَوْل أكثريّة العلماء ؛ باعتبار أنّ شهر ربيع الأوّل شهر بعثة النبيّ -عليه الصلاة والسلام-، وولادته، وقد اختُلِف في اليوم من ذلك الشهر؛ فقِيل: في أوّله، وقِيل: في اليوم الثاني عشر منه كما جاء عن جابر، وابن عباس، وقِيل: في ثامنه وهو القول المشهور بين أقوال العلماء. نُزول القرآن في شهر رجب، وتحديداً في اليوم السابع عشر منه، وعلى الرغم من عدم اشتهار هذا القول، إلّا أنّه مذكورٌ في بعض الكُتُب. مكان نزول القرآن الكريم نزل القرآن الكريم جملةً واحدةً إلى بيت العزّة من السماء الدُّنيا بعد أن كان في اللوح المحفوظ، ثمّ نزل بعد ذلك مُتفرّقاً على قلب النبيّ -عليه الصلاة والسلام- وقد ورد عن النبيّ -عليه الصلاة والسلام- أنّ القرآن نزل مُفرَّقاً في ثلاثة أماكن، وهي: مكّة المُكرَّمة بما فيها من المنازل التي تتبع لها، كعرفات، ومِنى، والحديبية، وكذلك المدينة المُنوَّرة، وما يتبع لها من أماكن، مثل: بدر، وأُحد، وأخيراً بلاد الشام؛ أي بيت المَقدس. مراحل نزول القرآن الكريم القرآن الكريم آخر الكُتُب السماويّة التي أنزلها الله على رُسُله؛ لتكون حُجّةً على الناس، ودليلاً على صِدق أنبيائه، ورُسُله؛ قال -تعالى- في وَصف القرآن الكريم: (إِنَّ هـذَا القُرآنَ يَهدي لِلَّتي هِيَ أَقوَمُ وَيُبَشِّرُ المُؤمِنينَ الَّذينَ يَعمَلونَ الصّالِحاتِ أَنَّ لَهُم أَجرًا كَبيرًا وقد كان نزول القرآن الكريم على مرحلَتين، هما: المرحلة الأولى: نزول القرآن الكريم كاملاً إلى بيت العزّة في السماء الدُّنيا؛ وقد دلّ على

ذلك النزول قَوْله -تعالى-: (شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ)؛[٧] إذ نزل القرآن الكريم في المرحلة الأولى في شهر رمضان المبارك، وتحديداً في ليلة القَدْر؛ قال -تعالى-: (إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ).[١٤] المرحلة الثانية: نزول القرآن الكريم مُفرَّقاً عن طريق أمين الوَحي؛ جبريل -عليه السلام-، على قلب الرسول -عليه الصلاة والسلام-؛ ودلّ على ذلك قَوْله -تعالى-: (وَقُرآنًا فَرَقناهُ لِتَقرَأَهُ عَلَى النّاسِ عَلى مُكثٍ وَنَزَّلناهُ تَنزيلًا).[١٥]

القرآن الكريم أنزل الله تعالى على نبيّه محمّد عليه الصّلاة والسّلام القرآن الكريم ليكون آخر الكتب السّماويّة، فالقرآن الكريم هو كلام الله تعالى الذي أنزل عن طريق الوحي على النّبي عليه الصّلاة والسّلام، وهو الكتاب المتعبد بتلاوته المنقول بالتواتر المعجز بآياته وسوره، وقد بدأ بسورة الفاتحة وختوم بسورة النّاس، وقد شرّف الله تعالى هذه الأمّة بهذا الكتاب العزيز الذي تكفّل الله تعالى بحفظه فلا تستطيع الإنس والجنّ ولو اجتمعت على أن تحرّف منه سورة أو آية. مراحل نزول القرآن الكريم قد مر القرآن الكريم بمراحل من حيث الوجود، فقد كان الأمر مكتوباً في اللّوح المحفوظ عند ربّ العزّة جلّ وعلا، قال تعالى (بل هو قرآنٌ مجيد، في لوحٍ محفوظ)، ثمّ أنزله الله تعالى إلى بيت العزّة في السّماء الدّنيا جملةً واحدة في ليلة القدر، ثمّ أُنزل منجّماً أي متفرّقاً على النّبي محمّد عليه الصّلاة والسّلام على مدى ثلاثة وعشرين سنة هي مدّة البعثة النّبويّة الشّريفة. أول آيات القرآن نزولًا وآخرها تكلّم العلماء والمفسّرون في أوّل الآيات والسّور نزولاً، فقيل أنّ أوّل آيةٍ أنزلت على النّبي عليه الصّلاة والسّلام كانت بداية سورة العلق، حيث قيل أنّها كانت في ليلة الواحد والعشرين من شهر رمضان المبارك، ثمّ تحدّث المؤرّخون عن مدّة فتور الوحي وانقطاعه وقيل في أصحّ الأقوال أنّها كانت ستة أشهر، ثمّ تتابع الوحي على النّبي عليه الصّلاة والسّلام بدون انقطاع فنزلت سورة المدّثر والضّحى واللّيل وغيرها من السّور المكيّة. بعد انتقال المسلمين إلى المدينة المنوّرة، نزلت السّور المدنيّة لتكتمل سور القرآن الكريم التي بلغت مائة وأربعة عشر

سورة قبل وفاة النّبي الكريم، حيث قيل أنّ آخر آية كانت هي آية الرّبا، وقد كانت هذه الآية الأخيرة في حجّة الوداع حيث كان يوم عرفة، وكانت كذلك الجمعة من السّنة التاسعة للهجرة . جمع القرآن الكريم في فترة الخلفاء الراشدين وتحديداً في خلافة أبي بكر الصّديق رضي الله عنه، بدا للمسلمين أن يجمعوا القرآن بعد أن كان مكتوباً في الألواح ومحفوظًا في الصّدور كمصلحة شرعيّة خشية من ضياع بعض آياته باستشهاد حفّاظ القرآن الكريم، ثمّ في عهد عثمان بن عفّان رضي الله حدث الجمع الثّاني له من خلال توحيد نسخ القرآن في نسخةٍ واحدة. علوم القرآن الكريم عني العلماء المسلمون على مرّ التّاريخ بدراسة آيات القرآن الكريم وسوره، حتّى نشأت علوم القرآن الكريم التي تضمّنت فروعاً كثيرة منها، النّاسخ، والمنسوخ، والمحكم، والمتشابه في القرآن الكريم، وعلم تفسير آيات القرآن الكريم، وأسباب النزول، والإعجاز البياني والعلمي في آيات القرآن.

قيام الدعوة على الاصطفاء:

""إسلام خديجة وابي بكر وعلي وزيد" وغيرهم.

فهي ليست دعوة علنية تقام في الأندية العامة والمجالس والمحافل؛ إنما تقوم على الاصطفاء

الشخصي، وتقدير الداعية لطبيعة المدعو لقد وجدنا أن اللبنات الأولى للدعوة كانت خديجة رضي الله عنها أول من آمن في الأرض من النساء، وهي زوج النبي عليه الصلاة والسلام، وأبو بكر * وهو صديقه الحميم .

وعلي بن أبي طالب وهو ربيبه وفي رعايته وبيته، وهو بمثابة ابنه، وزيد بن حارثة مولاه. وعندما

انطلق أبو بكر ي بالدعوة اختار الطريق نفسه.

اسلام علي

علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم الهاشمي "حيدرة، أبو تراب، وأبو الحسنين" ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وزوج ابنته من السابقين الأولين وهو أحد العشرة المشرين بالجنة.

قال ابن إسحاق: آمن برسول الله وصلى معه وصدق بما جاءه من الله تعالى رضوان الله وسلامه

عليه، وهو يومئذ ابن عشر سنين.

إسلام أبو بكر :

عبد الله بن عثمان بن عامر التيمي أبو بكر ابن أبي قحافة الصديق الأكبر [وقيل: اسمه عتيق] قال

ابن هشام: وعتيق: لقب لحسن وجهه وعتقه.

قال ابن إسحاق: ثم أسلم أبو بكر رضي الله عنه: أظهر إسلامه، ودعا إلى الله وإلى رسوله.

وكان أبو بكر رجلاً مألفا لقومه، محبباً سهلاً، وكان أنسب قريش لقريش، وأعلم قريش بها، وبما كان فيها من خير وشر، وكان رجلاً تاجراً، ذا خلق ومعروف، وكان رجال قومه يأتونه ويألفونه لغير واحد من الأمر، لعلمه وتجارته وحسن مجالسته، فجعل يدعو إلى الله وإلى الإسلام من وثق به من قومه، ممن يغشاه ويجلس إليه. فأسلم بدعائه: عثمان، والزبير، وعبد الرحمن بن عوف، وطلحة بن عبيد الله، وسعد بن أبي وقاص، فجاء بهم إلى رسول الله و حين أسلموا وصلوا، فكان هؤلاء النفر الثمانية أول من سبق

بالإسلام وصلوا وصدقوا.

وكان شريفاً بالجاهلية وفي الاسلام امتاز يل بميزات كثيرة، كان تاجراً يحفظ شرفه وكرامته ،

وكان غنياً بماله وجاهه وأخلاقه.

لم يؤثر عنه شرب الخمر لسلامة عقله ، ولم يؤثر عنه عبادة الأصنام ، بل كان يتبرم منها ، ولم يؤثر عنه الكذب ، بل أُثر عنه الأخلاق الطيبة .. وكان ه صديقاً حميماً لرسول الله ل قبل الاسلام ، وكانا قريبين في السن وكانت الصلة بينهما قوية .. ولهذا كان أبو بكر يته أول من أجاب لدعوته وآثره النبي ﷺ على غيره، فامتاز عن الناس جميعاً لقد آمن إيماناً لم يسبقه إليه أحد ، فلم يشك ، ولم يتردد في

إجابة دعوته لي .

قال ابن إسحاق حدثني محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله بن الحصين التميمي أن رسول الله قال: ((ما دعوت أحداً إلى الإسلام إلا كانت عنه كبوة وتردد ونظر إلا أبا بكر ما عتم منه حين ذكرته وما تردد

فيه)).

اولا : حال النبي صلى الله عليه وسلم قبل الإسراء والمعراج:

أمضى رسول الله -صلّى الله عليه وسلّم- سنواتٍ قاسية في بداية بعثته في مكّة المكرمة، وكان العام العاشر للبعثة عاماً حزينًا وصعبًا على رسول الله -صلّى الله عليه وسلّم-؛ فقد فَقَدَ به رسول الله عمَّه أبا طالب؛ وهو دِرعه الذي كان يَحميه من قريش، ويدفع عنه أذاهم، وبعدها بثلاثة أيامٍ أو قيل بشهرين، فَقَدَ رسول الله -صلى الله عليه وسلم- زوجته ورفيقة دربه؛ التي كان المؤازِرة الأولى له؛ أمّ المؤمنين خديجة -رضي الله عنها-. فبقي رسول الله -صلّى الله عليه وسلّم- وحيدًا حزيناً من غير مناصر له في تبليغ رسالته، فخرج إلى الطائف يَلتمس منهم القبول، وعرض دعوته على قبيلة ثقيف، فكان ردهم قاسيًا، ورفضهم جارحًا، فآذوا رسول الله -صلّى الله عليه وسلّم- ونالوا منه، وأغروا به سفهاءهم حتى رَمَوه بالحجارة وسالت الدماء من قدميه الشريفتين. وبعد الذي لاقاه النبي في الطائف، خرج مهموماً حزيناً، حتى يكاد لا يشعر بنفسه أين يتجه، فوصل منطقة قرن الثعالب، فناجى ربَّه، وشكا إليه ضَعفه وقلَّة حيلته، وهوانه على النّاس، وعاد إلى مكّة فلم يستطع الدخول إليها حتى أجاره المطعم بن عدي وكان على الشرك، فبعد هذا العناء الذي مرّ به حبيب الله تأتي المعجزة.

بعد هذه الظروف التي كانت قاسية عليه، جاءت مشيئة الله -تعالى- بأن يُسلِّي عن رسول الله -صلّى الله عليه وسلّم- و يُواسيه ويُثبّته على الحقّ، فأكرمه الله برحلةٍ لم تكن لأحدٍ قبلَه ولا بعده، وجعلها الله -تعالى- رحلةً مباركةً طيبةً، فقد بدأت من أطهر بقاع الأرض، وانتهت بطبقات السماء العليا، وهي رحلةُ الإسراء والمعراج، يقول الله -تعالى-: (سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا ۚ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ). نعم أيُّها الأخوة الأفاضل، إنَّها رحلة الإسراء والمعراج، والإسراء؛ هي الرحلة التي وقعت في الأرض، من مكَّة المكرمة إلى الأقصى الشريف، والمعراج؛ هي الرحلة التي وقعت في السماء، من بيت المقدس ثمَّ إلى السماوات العُلا، وبعد ذلك إلى سدرة المنتهى، حتى لقائه بالخالق -سبحانه وتعالى-. وبدأت هذه الرحلة ورسول الله -صلّى الله عليه وسلّم- نائمًا في حِجر الكعبة، حتى جاءه طارق من ربّه، فشَقَّ صدره وأخرج قلبه، فملأه بالحكمة والإيمان، ثمّ جاء بالبُراق؛ وهي دابّةٌ بيضاء، تضع حافرها؛ أي قدمها عند منتهى طَرْفِها؛ عند جفنها، وفيه دلالة على سرعة البراق، فركب النبي صلى الله عليه وسلم، ورافقه جبريل -عليهم السلام-، حتى وصلا المسجد الأقصى، ولمّا دخله فإذا بالأنبياء جميعهم يصطفّون لِيصلوا ركعتين خلف رسول الله.[

مراحل الدعوة الإسلامية والهجرة

1- الدعوة في المرحلة المكّية الدعوة السرّية بدأ الرسول -عليه الصلاة والسلام- بالدعوة إلى الإسلام في مكّة المُكرَّمة بأمرٍ من الله -تعالى-؛ إذ قال: (يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ*قُمْ فَأَنذِرْ*وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ*وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ*وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ*وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ*وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ)، فبدأ الرسول بدعوة أهل بيته، ثمّ الأقربين فالأقربين، وكانت الدعوة حينها سرّيةً؛ دون أن تعلم بها قريش، وقد وصل عدد المُستجيبين لها إلى أربعين، منهم: خديجة بنت خويلد، وزيد بن حارثة، وعلي بن أبي طالب، وأبو بكر الصدّيق، وغيرهم، وعُرِفت تلك المرحلة من الدعوة بالمرحلة الأرقميّة؛ نِسبةً إلى دار الأرقم؛ إذ كان الرسول -عليه الصلاة والسلام- يُعلّم الصحابة أمور الدين فيها، وذلك قبل الهجرة إلى المدينة المُنوَّرة؛ حيث كان رسول الله -صلّى الله عليه وسلّم- يجتمع بهم في شِعاب* مكّة المُكرَّمة، ولمّا عَلِمت قريش بأمرهم، تصدّت لهم؛ فتوجّه بهم رسول الله إلى دار الأرقم الواقعة على جبل الصفا، واستمرّت الدعوة بشكلٍ سرّيٍ مدّة ثلاث سنواتٍ، ثمّ جاء الأمر من الله بالجهر فيها.

2- الدعوة الجهرية وموقف قريش منها بدأت الدعوة بمرحلتها الثانية، وانتقلت من المرحلة السرّية إلى المرحلة الجهريّة، وذلك بنزول قول الله -تعالى-: (وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ)، فما كان من قريش إلّا أن تصدّت لتلك الدعوة، وبدأت تُعارضها بكلّ ما تملكه من الأساليب؛ إذ لجأت إلى التهديد، والتخويف، والتذليل، وغيرها، ومع ذلك ثبت رسول الله على دعوته، واستمرّ الجهر بالدعوة إلى حين الهجرة إلى المدينة المُنوَّرة، وفي ما يأتي أبرز الأمثلة التي تعرّض لها رسول الله، وأصحابه من الإيذاء في سبيل هذه الدعوة: تعرُّض رسول الله -عليه الصلاة والسلام- للضرب من قِبَل قريش؛ بحُجّة صبرهم على ما يفعله رسول الله من احتقار آلهتهم، وسبّها كما يدّعون، وقد دافع عنه آنذاك أبو بكر الصديق، وتصدّى لهم، قائلاً: "أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله؟". تعرُّض الرسول للإيذاء من قِبَل عمّه أبي لهب وزوجته؛ فقد كانا من أشدّ الأعداء للنبيّ، والدعوة، حتى نزل قول الله -تعالى-: (تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ*مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ*سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ*وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ*فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ). تعرُّض الصحابة -رضي الله عنهم- لشتّى أنواع التعذيب؛ فقد تعرّض أبو بكر الصدّيق للأذى، وجُعِل التراب على رأسه، وضُرِب على وجهه، كما تعرّض بلال بن رباح لمختلف أنواع الأذى، وثبت على توحيد الله رغم ما تعرّض له، إلى جانب العديد من الأمثلة على صبر الصحابة على التعذيب في سبيل الدعوة.

1- هجرة الحبشة الأولى:

وكانت في السنة الخامسة من البعثة وبلغ عدد المسلمين أحد عشر رجلاً وأربع نسوة وكان عثمان بن عفان رضي الله عنه وزوجته رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم من أصحاب الهجرة الأولى.

2- هجرة الحبشة الثانية:

سمع أهل هجرة الحبشة "الأولى" أن أهل مكة دخلوا في الإسلام فرجعوا إلى مكة ومنهم عثمان بن مظعون فلم يجدوا الخبر صحيحاً فرجعوا مرة أخرى إلى الحبشة وسار معهم جماعة من المسلمين حتى بلغ عددهم ثلاثة وثمانين رجلاً وثماني عشرة امرأة فأرسلت قريش عمرو بن العاص وعبد الله بن أبي ربيعة إلى النجاشي ملك الحبشة تطلب منه أن يردهم إليها في مكة ولكنه رفض بعد أن تبين له صدق المسلمين

وقد هاجر معظم مهاجرة الحبشة إلى المدينة بعد استقرار الإسلام فيها وتأخر جعفر بن أبي طالب ومن معه إلى فتح خيبر في السنة السابعة للهجرة .

. الدعوة في المرحلة المدنيّة لمّا أراد الله للدعوة الظهور والانتشار وتحقيق العِزّة والمَنَعة للنبيّ وللدعوة، خرج رسول الله في موسم الحجّ، فالتقى رجالاً من قبيلة الخزرج من موالي اليهود، ودعاهم إلى الإسلام في مكانٍ اسمه العقبة، وتكلّم عن الإسلام، وتلا عليهم آيات من القرآن، فقَبِلوا ما عُرِض عليهم، وخرجوا مُتوجّهين إلى قومهم؛ ليدعوهم إلى ما آمنوا به. وكان هذا في بيعة العقبة الأولى، وفي العام الذي يليه اجتمع إلى النبي من أهل المدينة الذين قدموا إلى الحجّ ثلاثاً وسبعين رجلاً أغلبهم من الخزرج، وبايعهم النبي -صلى الله عليه وسلم- على الإيمان والاتّباع، وسمّيت هذه البيعة ببيعة العقبة الثانية، وبعد عودتهم إلى المدينة أصبح أمر الهجرة ممهّداً ومُلحّاً أكثر من ذي قبل، خاصة أنّ أذى المشركين ازداد على المسلمين في مكة؛ فأمر النبي -عليه السلام- أصحابه بالهجرة إلى المدينة، فتتابعوا بالهجرة خِفية، وخرجوا فراراً بدين الله -تعالى-، ثمّ أذن الله -سبحانه- لنبيه -عليه السلام- بالهجرة؛ فهاجر يرافقه أبو بكر -رضي الله عنه-. وأقام رسول الله والمسلمون فيها، وعاشوا أوضاعاً تختلف عمّا عاشوه في مكّة، ومع اختلاف فئات الناس، وطبقاتهم، واتّجاهاتهم، إلّا أنّهم خضعوا لرسول الله، وساروا نحو أمره، وقد امتدح المولى سبحانه المهاجرين الذين تركوا ديارهم وأموالهم ابتغاء مرضاة الله، قال الله -تعالى-: (لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا

مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّـهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّـهَ وَرَسُولَهُ أُولَـئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ)، وفرح النبي -صلى الله عليه وسلم- بلقاء الأنصار الذين آمنوا به وبدعوته قبل أن يروه، وبعد أنْ استقر المقام بالمهاجرين مع إخوانهم الأنصار بالمدينة كان لا بُدّ من تنظيم العلاقة بين كلّ الفئات في المدينة المنورة، واجتهد النبي في تحقيق ذلك .

الحصار في شعب ابي طالب

تاريخ الحصار ومدّته

1محرّم السنة السابعة للبعثة النبويّة، واستمرّ 3 سنوات.

سبب الحصار

همَّتْ قريش بقتل رسول الله بعد أنْ فشلتْ جميع وسائل الإرهاب، والحرب النفسيّة والدعائيّة ضدّ النبيّ (صلّى الله عليه وآله) ومَن آمن معه، وأجمع ملأها على ذلك، وبلغ ذلك أبا طالب فقال:

والله لنْ يصلوا إليك بجمعهم * حتّى أُغَيّب في التراب دفينا

ودعوتني وزعمتَ أنّك ناصحٌ * ولقد صدقتَ وكنتَ ثمّ أمينا

وعرضتَ ديناً قد علمتُ بأنّه * مِن خيرِ أديانِ البريّة دِيْنَا [تاريخ اليعقوبي: 2/ 31.]

فلمّا علمتْ قريش أنّهم لا يقدرون على قتْل رسول الله، وأنّ أبا طالب لا يسلمه، وسمعت بهذا من قول أبي طالب، وتوعّد أبو طالب زعامة بطون قريش قائلاً: والله لو قتلتموه ما أبقيتُ منكم أحداً حتّى نتفانى نحن وأنتم] الطبقات الكبرى : ج1/ص203]، فقال له المطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف: لقد كدتَ تأتي على قومك؟ قال أبو طالب : هو ذلك، وخاطب النبيّ أمامهم شعراً:

اذهب بُنَي فما عليك غضاضة * اذهب وقر بذاك منك عيونا

والله لنْ يصلوا إليك بجمعهم * حتّى أُوَسَّد في التراب دفينا

امتنع زعماء قريش، وقرَّروا أنْ يقاطعوا أبا طالب وبني هاشم، ومحمّداً وأصحابه، مقاطعة اقتصاديّة واجتماعيّة، وكتبوا عهداً بذلك وعلّقوه في جوف الكعبة.

مضمون الصحيفة

ممّا جاء في تلك الصحيفة الظالمة: ألاّ يبايعوا أحداً من بني هاشم، ولا يناكحوهم، ولا يعاملوهم، حتّى يدفعوا إليهم محمّداً فيقتلوه.

وتعاهدوا على ذلك، وختموا الصحيفة بثمانين ختماً، وكان الذي كتبها منصور بن عكرمة بن عامر بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار، فشلّت يده، ثمّ حصرتْ قريش رسول الله صلّى الله عليه وآله وأهل بيته من بني هاشم، وبني عبد المطلّب في شِعب أبي طالب.

شدَّة الحصار

استمرَّ الحصار وطال، حتّى أنفق أبو طالب والنبيّ (صلّى الله عليه وآله) مالهما، كما أنفقتْ خديجة أموالها الطائلة في هذه المحاصرة الظالمة، وكان ذلك بعد ست سنين من مبعث رسول الله (صلّى الله عليه وآله).

وأشتدَّ خلالها الخطْب على المسلمين، وراحوا يعانون من الجوع والأذى، ويأكلون نباتات الأرض، ولم يكن يَصِلُهُم من الطعام شيء، إلاّ ما كان يتسرّب سرّاً من بعض المتعاطفين معهم.

وحين اشتدَّ العُسْر والأذى، وصبر المسلمون جاء الفرج، وتدخّل النصر الإلهي، فأرسل الله حشرة الأُرضة على صحيفة المقاطعة فأكلتْها، ما عدا ما كان فيها من اسم الله سبحانه، فعندها هبط جبرائيل (عليه السلام) وأخبر سيدنا محمّداً صلّى الله عليه وآله بذلك.

رفْع الحصار

أخبر النبيّ (صلّى الله عليه وآله) أبا طالب بهذا النبأ العظيم، وأطلعه على ما حدث للصحيفة الظالمة، فتوجّه أبو طالب مع باقي بني هاشم نحو البيت الحرام، ليُحدّثوا طواغيت قريش بما أخبر به الله تعالى، وليؤكّدوا لهم دليلاً آخراً على صدْق نبوَّة محمّد (صلّى الله عليه وآله) .

فجلس أبو طالب بفناء الكعبة، وأقبلتْ عليه قريش فقالوا له: آنَ لك يا أبا طالب أنْ تذكر العهد، وأنْ تشتاق إلى قومك، وتدع اللُّجاج في ابن أخيك.

فقال لهم: يا قوم، أحضروا صحيفتكم، فلعلَّنا أنْ نجد فرجاً وسبباً لصلة الأرحام وترك القطيعة، فأحضروها، فخاطبهم أبو طالب قائلا: هذه صحيفتكم.

قالوا: نعم، قال: فهل أحدثتم فيها حدثاً، قالوا: اللَّهُمَّ لا.

فقال لهم: إنَّ محمَّداً أعلمني عن ربّه، أنّه بعث الأرضة، فأكلتْ كلّ ما فيها إلاّ ذكر الله، أفرأيتم إنْ كان صادقاً ماذا تصنعون؟ ، قالوا: نكفّ ونمسك.

فقال: فإنْ كان كاذباً دفعته إليكم، قالوا: قد أنصفتَ وأجملتَ.

وبدأتْ اللحظات الحاسمة، فإذا بالأرضة قد أكلتْ كلّ ما في الصحيفة، إلاّ مواضع اسم الله عزَّ وجلَّ، فبُهِت الطغاة، وأخذتْهم العزّة بالإثم وقالوا: ما هذا إلاّ سحر، وما كنّا قطُّ أجد في تكذيبه من ساعتنا هذه.

لم يستطع كفّار مكّة مصادرة هذا الحدث العظيم بهذا الردّ التافه، بل راح الناس يتفاعلون معه، فأسلم كثيرون، وصدَّقوا هذه المعجزة، وعلى إثر ذلك فُكَّ الحصار، وخرج النبيّ محمّد صلّى الله عليه وآله ومَن معه من الشعب، أعزَّة .

عام الحزن

رجع بنو هاشم وبنو المطلب إلى مكة، ويذكر الحافظ ابن كثير أنه لما نُقِضَتِ الصحيفة، وافق موت السيدة خديجة، وموت أبي طالب، وكان بينهما ثلاثة أيام، فاشتد البلاء على رسول الله صلى الله عليه وسلم من سفهاء قومه، وأقدموا عليه أي اجتمعوا عليه ، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الطائف لكي يؤوه وينصروه، ودعاهم إلى الله، فلم يجيبوه إلى شيء من الذي طلب، وآذوهُ أذى عظيماً، فرجع عنهم، ودخل مكة في جوارِ المُطْعِمِ بن عديّ بن نوفل ابن عبد مناف.

اولا : حال النبي صلى الله عليه وسلم قبل الإسراء والمعراج:

أمضى رسول الله -صلّى الله عليه وسلّم- سنواتٍ قاسية في بداية بعثته في مكّة المكرمة، وكان العام العاشر للبعثة عاماً حزينًا وصعبًا على رسول الله -صلّى الله عليه وسلّم-؛ فقد فَقَدَ به رسول الله عمَّه أبا طالب؛ وهو دِرعه الذي كان يَحميه من قريش، ويدفع عنه أذاهم، وبعدها بثلاثة أيامٍ أو قيل بشهرين، فَقَدَ رسول الله -صلى الله عليه وسلم- زوجته ورفيقة دربه؛ التي كان المؤازِرة الأولى له؛ أمّ المؤمنين خديجة -رضي الله عنها-. فبقي رسول الله -صلّى الله عليه وسلّم- وحيدًا حزيناً من غير مناصر له في تبليغ رسالته، فخرج إلى الطائف يَلتمس منهم القبول، وعرض دعوته على قبيلة ثقيف، فكان ردهم قاسيًا، ورفضهم جارحًا، فآذوا رسول الله -صلّى الله عليه وسلّم- ونالوا منه، وأغروا به سفهاءهم حتى رَمَوه بالحجارة وسالت الدماء من قدميه الشريفتين. وبعد الذي لاقاه النبي في الطائف، خرج مهموماً حزيناً، حتى يكاد لا يشعر بنفسه أين يتجه، فوصل منطقة قرن الثعالب، فناجى ربَّه، وشكا إليه ضَعفه وقلَّة حيلته، وهوانه على النّاس، وعاد إلى مكّة فلم يستطع الدخول إليها حتى أجاره المطعم بن عدي وكان على الشرك، فبعد هذا العناء الذي مرّ به حبيب الله تأتي المعجزة.

بعد هذه الظروف التي كانت قاسية عليه، جاءت مشيئة الله -تعالى- بأن يُسلِّي عن رسول الله -صلّى الله عليه وسلّم- و يُواسيه ويُثبّته على الحقّ، فأكرمه الله برحلةٍ لم تكن لأحدٍ قبلَه ولا بعده، وجعلها الله -تعالى- رحلةً مباركةً طيبةً، فقد بدأت من أطهر بقاع الأرض، وانتهت بطبقات السماء العليا، وهي رحلةُ الإسراء والمعراج، يقول الله -تعالى-: (سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا ۚ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ). نعم أيُّها الأخوة الأفاضل، إنَّها رحلة الإسراء والمعراج، والإسراء؛ هي الرحلة التي وقعت في الأرض، من مكَّة المكرمة إلى الأقصى الشريف، والمعراج؛ هي الرحلة التي وقعت في السماء، من بيت المقدس ثمَّ إلى السماوات العُلا، وبعد ذلك إلى سدرة المنتهى، حتى لقائه بالخالق -سبحانه وتعالى-. وبدأت هذه الرحلة ورسول الله -صلّى الله عليه وسلّم- نائمًا في حِجر الكعبة، حتى جاءه طارق من ربّه، فشَقَّ صدره وأخرج قلبه، فملأه بالحكمة والإيمان، ثمّ جاء بالبُراق؛ وهي دابّةٌ بيضاء، تضع حافرها؛ أي قدمها عند منتهى طَرْفِها؛ عند جفنها، وفيه دلالة على سرعة البراق، فركب النبي صلى الله عليه وسلم، ورافقه جبريل -عليهم السلام-، حتى وصلا المسجد الأقصى، ولمّا دخله فإذا بالأنبياء جميعهم يصطفّون لِيصلوا ركعتين خلف رسول الله.[

ثانيا : قصة الإسراء والمعراج:

قال تعالى ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾.

وقال تعالى ﴿ وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى * مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى * وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى * عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى * ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى * وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى * ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى * فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى * فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى * مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى * أَفَتُمَارُونَهُ عَلَى مَا يَرَى * وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى * عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى * عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى * إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى * مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى * لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى ﴾ [النجم: 1 - 18]

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - قَالَ " أُتِيتُ بِالْبُرَاقِ - وَهُوَ دَابَّةٌ أَبْيَضُ طَوِيلٌ فَوْقَ الْحِمَارِ وَدُونَ الْبَغْلِ يَضَعُ حَافِرَهُ عِنْدَ مُنْتَهَى طَرْفِهِ - قَالَ فَرَكِبْتُهُ حَتَّى أَتَيْتُ بَيْتَ الْمَقْدِسِ - قَالَ - فَرَبَطْتُهُ بِالْحَلْقَةِ الَّتِى يَرْبِطُ بِهِ الأَنْبِيَاءُ - قَالَ - ثُمَّ دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ فَصَلَّيْتُ فِيهِ رَكْعَتَيْنِ ثُمَّ خَرَجْتُ فَجَاءَنِى جِبْرِيلُ - عَلَيْهِ السَّلاَمُ - بِإِنَاءٍ مِنْ خَمْرٍ وَإِنَاءٍ مِنْ لَبَنٍ فَاخْتَرْتُ اللَّبَنَ فَقَالَ جِبْرِيلُ - صلى الله عليه وسلم - اخْتَرْتَ الْفِطْرَةَ، ثُمَّ عَرَجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ

ثالثا : تعريف الإسراء

الإسراء لغة من السَّرى، وهو السير ليلاً، وقال السخاوي في تفسيره: إنما قال: ليلاً. والإسراء لا يكون إلاَّ بالليل؛ لأن المدَّة التي أُسْرِيَ به فيها لا تُقْطَع في أقل من أربعين يومًا، فقُطعت به في ليلٍ واحد، فكان المعنى: سبحان الذي أسرى بعبده في ليلٍ واحد من كذا وكذا، وهو موضع التعجب، وإنما عدل عن ليلة إلى ليل؛ لأنهم إذا قالوا: سرى ليلة. كان ذلك في الغالب لاستيعاب الليلة بالسرى، فقيل: ليلاً. أي في ليل. انظر: تاج العروس، مادة (السرى) 262/38.

وقيل:الإسراء: رحلة أرضية تمت بقدرة الله عز وجل لرسول الله عليه الصلاة والسلام من مكة إلى بيت المقدس.

أما المعراج: فهو رحلة سماوية تمت بقدرة الله عز وجل لرسول الله عليه الصلاة والسلام من بيت المقدس إلى السماوات العلا ثم إلى سدرة المنتهى ثم اللقاء بالله سبحانه وتعالى.

وقيل:الإسراء: هي تلك الرحلة الأرضية وذلك الانتقال العجيب، بالقياس إلى مألوف البشر، الذي تمَّ بقدرة الله من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، والوصول إليه في سرعة تتجاوز الخيال، يقول تعالى في سورة الإسراء: ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّه هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾.

اهتم الكثير من المسلمين بمعرفة مشاهد الإسراء والمعراج الصحيحة التي رآها الرسول صلى الله عليه وسلم خلال رحلته السماوية التي وردت عنه.

و تعتبر رحلة الإسراء والمعراج من أغرب الرحلات البشرية، والتي توضح مدى قدرة الله عز وجل عندما أسري بسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة، ثم عُرج به إلى السماوات السبع، بعد ذلك رجع إلى بيت المقدس، وأخيرًا العودة إلى مكة المكرمة. فما هي مشاهد الإسراء والمعراج الصحيحة التي رآها النبي صلى الله عليه وسلم.

مشاهد الإسراء والمعراج الصحيحة

من أجمل مشاهد الإسراء والمعراج الصحيحة التي رأها الرسول صلى الله عليه وسلم ما يلي:

الذين يغتابوا الناس يخمشون وجوههم وصدورهم بأظفار نحاسية. محدثي الفساد وكآنهم ثور يخرج من منفذٍ ضيقٍ ولا يستطيع العودة رأى المجاهدون في سبيل الله يزرعون ويحصدون في يومين فقط.

رواد الفتنة على أناس تُقْرَضُ ألسنتهم وشفاههم بمقاريض من نار. قبر ماشطة بنت فرعون، وكان ينبعث منه رائحة طيبة. تاركو الزكاة كأنهم يَسْرَحون على عوراتهم كالأنعام.

البيت المعمور لأهل السماء مثل الكعبة لأهل الأرض. تاركو الصلاة ترضخ رءوسهم ثم تعود مرة أخرى.

الزناة يتنافسون على اللحم المنتن. شاربو الخمر يشربون من الصديد.

الجنة فوق السموات السبع . إبليس متنحيًا عن الطريق.

الدنيا بصورة عجوز. مالك خازن النار. سدرة المنتهى. نهر الكوثر. العرش وهناك العديد من الأحاديث النبوية الصحيحة التي وردت عن الإمام البخاري ومسلم في وصف الأنبياء، والتي منها:

عن ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "مررت ليلة أسرى بى على موسى بن عمران عليه السلام.

رجل آدم طوال جعد. كأنه من رجال شنوءة. ورأيت عيسى بن مريم مربوع الخلق، إلى الحمرة والبياض، سبط الرأس، وفى رواية أخرى عيسى جعد مربوع".

كما ورد عن ابن عباس قال: "سرنا مع رسول الله صلى اله عليه وسلم بين مكة والمدينة، فمررنا بواد فقال: أى واد هذا؟

فقالوا وادى الأزرق؟ فقال: كأنى أنظر إلى موسى واضعا إصبعيه فى أذنيه، له جؤار إلى الله بالتلبية مارا بهذا الوادى"،

قال ثم سرنا حتى أتينا على ثنية. قال "أى ثنية هذه؟" قالوا "هرشى أو لفت. فقال كأنى أنظر إلى يونس على ناقة حمراء عليه جبة صوف. خطام ناقته ليف خلبة. مارا بهذا الوادى ملبيا".

كذلك ورد عن جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "عرض على الأنبياء. فإذا موسى ضرب من الرجال.

كأنه من رجال شنوءة، ورأيت عيسى ابن مريم عليه السلام. فّاذا أقرب به شبها عروة بن مسعود.

ورأيت إبراهيم صلوات الله عليه. فّاذا أقرب من رأيت به شبها صاحبكم (يعنى نفسه) ورأيت جبريل عليه السلام فإذا أقرب من رأيت به شبها دحية بن خليفة".

بينما ورد عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال: "حين أسرى بى لقيت موسى عليه السلام فنعته النبى صلى الله عليه وسلم: إذا رجل مضطرب. رجل الرأس.

كأنه من رجال شنوءة. قال، ولقيت عيسى فنعته النبى صلى الله عليه وسلم: فّاذا ربعه أحمر كأنما خرج من ديماس (يعنى حماما) قال ورأيت إبراهيم صلوات الله عليه. وأنا أشبه ولده به".

والدروس والعبر من حادثة الإسراء والمعراج كثيرة عديدة ففي كل موقف درس وفي كل كلمة من رسول الله قصة وعبرة ومن أهم الدروس المستفادة من هذه الرحلة العظيمة:

أولاً: العبودية لله مقام رفيع وشرف عظيم. لقد كرّم الله سبحانه وتعالى نبيه صلى الله عليه وسلم ورفع قدره وجعله خير البشرية وإمام البرية، وخاطبه في كتابه الكريم خطاب تكريم وتشريف ليس باسمه المجرد بل بلفظ (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ) و ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ ﴾ ولم يُذكر باسمه إلا في أربع مواضع في القرآن الكريم وقد جاءت بصيغة الإخبار لا الإنشاء، كقوله تعالى: ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ ﴾ [الفتح: 29]، وقوله: ﴿ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ ﴾ [الصف: 6] لكن سياق الآيات في رحلة الإسراء والمعراج أتت بوصف النبي صلى الله عليه وسلم بوصف العبودية قال تعالى: ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا ﴾ الإسراء: 1 وحكمة ذلك -والله اعلم- أنَّ الله تعالى أراد أن يخبرنا أن الإنسان الذي أسري به هو بشرٌ مثلُكم يأكل الطعام ويمشي في الأسواق وليثبت لنا أن العبوديةَ لله هي أسمى المراتب وأعلى المقامات التي يصلُ إليها الإنسان.. فالعبوديةُ لله عزّةٌ ورفعة، وعطاء وإكرام، ومرتبة سامية لا ينالها إلا من وفق لطاعة الله وفاز برضوانه، قال أبو حيان: (لو كان لرسول الله – صلى الله عليه وسلم – اسمٌ أشرف منه لسماه به في تلك الحالة). وهذا درس لنا بأن نتشرف بالانتساب إلى دين الله واتباع شرعه والسير على منهاجه دون خوف أو حياء بل بعزة وكبرياء وشموخ ملؤه الثقة بأن دين الله غالب وأن شرعه القويم منتصر وأن الله غالب على أمره ولو كره الكافرون. فالعبودية لله شرف عظيم والسير على خطى النبي صلى الله عليه وسلم وسام تكريم يتميز به عباد الله المخلصين وأتباعه الصادقين، الذين ينطقون بالحق ويجاهرون بالمعروف ويطبقون أوامر الله دون وجل أو خوف.

ثانياً: الثبات على المبدأ. الثبات على المبدأ مقام عظيم وشرف كبير من ناله فقد سار على درب النبيين والشهداء والصالحين، وهو نعمة إلهية وعطية ربانية يمنّ الله عز وجل بها على من شاء من عباده، فقد قال جل في علاه لنبيه صلى الله عليه وسلم ممتناً عليه بنعمة الثبات: (وَلَوْلَا أَن ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا) الإسراء (74). ويتضح الثبات على المبدأ في حادثة الإسراء والمعراج من المشهد

الذي رآه النبي صلى الله عليه وسلم لماشطة ابنة فرعون، فعَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: لَمَّا كَانَ اللَّيْلَةُ الَّتِي أُسْرِىَ بِي فِيهَا أَتَتْ عَلَىَّ رَائِحَةٌ طَيِّبَةٌ فَقُلْتُ يَا جِبْرِيلُ مَا هَذِهِ الرَّائِحَةُ الطَّيِّبَةُ فَقَالَ هَذِهِ رَائِحَةُ مَاشِطَةِ ابْنَةِ فِرْعَوْنَ وَأَوْلاَدِهَا. قَالَ قُلْتُ وَمَا شَأْنُهَا قَالَ بَيْنَا هِيَ تَمْشُطُ ابْنَةَ فِرْعَوْنَ ذَاتَ يَوْمٍ إِذْ سَقَطَتِ الْمِدْرَى مِنْ يَدَيْهَا فَقَالَتْ بِسْمِ اللَّهِ. فَقَالَتْ لَهَا ابْنَةُ فِرْعَوْنَ أَبِى قَالَتْ لاَ وَلَكِنْ رَبِّى وَرَبُّ أَبِيكِ اللَّهُ. قَالَتْ أُخْبِرُهُ بِذَلِكَ قَالَتْ نَعَمْ. فَأَخْبَرَتْهُ فَدَعَاهَا فَقَالَ يَا فُلاَنَةُ وَإِنَّ لَكَ رَبًّا غَيْرِى قَالَتْ نَعَمْ رَبِّى وَرَبُّكَ اللَّهُ. فَأَمَرَ بِبَقَرَةٍ مِنْ نُحَاسٍ فَأُحْمِيَتْ ثُمَّ أَمَرَ بِهَا أَنْ تُلْقَى هِيَ وَأَوْلاَدُهَا فِيهَا قَالَتْ لَهُ إِنَّ لِيَ إِلَيْكَ حَاجَةً. قَالَ وَمَا حَاجَتُكِ قَالَتْ أُحِبُّ أَنْ تَجْمَعَ عِظَامِي وَعِظَامَ وَلَدِى في ثَوْبٍ وَاحِدٍ وَتَدْفِنَنَا. قَالَ ذَلِكَ لَكِ عَلَيْنَا مِنَ الْحَقِّ. قَالَ فَأَمَرَ بِأَوْلاَدِهَا فَأُلْقُوا بَيْنَ يَدَيْهَا وَاحِدًا وَاحِدًا إِلَى أَنِ انْتَهَى ذَلِكَ إِلَى صَبِيٍّ لَهَا مُرْضَعٍ وَكَأَنَّهَا تَقَاعَسَتْ مِنْ أَجْلِهِ قَالَ يَا أُمَّهْ اقْتَحِمِي فَإِنَّ عَذَابَ الدُّنْيَا أَهْوَنُ مِنْ عَذَابِ الآخِرَةِ فَاقْتَحَمَتْ. أخرجه أحمد.

ثالثاً: الرجولة مواقف ومبادئ. هذه المعاني العظيمة يسطرها رفيق الرسول صلى الله عليه وسلم وصاحبه أبو بكر الصديق رضي الله عنه، فعندما أخبر الرسول صلى الله عليه وسلم قريش بحادثة الإسراء والمعراج خرج شاهد زور متطوع وباحث عن الإثم متبرع؛ ليشق صف المسلمين ويزرع الفتنة بين رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم وصاحبه أبو بكر الصديق رضي الله عنه، فعندما سمع الصدّيق بالخبر وقص عليه القوم ما حصل، قطع عليهم الطريق من البداية وسد باب الفتنة في وجوههم ورد كيدهم إلى نحرهم وقال لهم بقلب ينبض بالإيمان ولسان ينطق بالحق: " لئن كان قال ذلك لقد صدق" فتعجب المشركون وأُسقِطَ في أيديهم وضاعت عليهم الفرصة ونكصوا على أعقابهم وقالوا بسان اليائس البائس: " أو تصدقه أنه ذهب الليلة إلى بيت المقدس وجاء قبل أن يصبح ؟ " ، فقال : " نعم ؛ إني لأصدقه فيما هو أبعد من ذلك، أصدقه بخبر السماء في غدوة أو روحة ". فاستحق رضي الله عنه بعد هذا الصدق وهذا الموقف المشرف وهذه الثقة برسول الله صلى الله عليه وسلم أن يلقب بلقب "الصديق"، فلا يذكر اسمه رضي الله عنه إلا قيل أبو بكر الصديق رضي الله عنه وأرضاه، وكفاه شرفا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في حقه: (ما عرضت الإسلام على أحد إلا كانت له كبوة إلا أبا بكر فإنه لم يتلعثم). وفي هذا الموقف العظيم لأبي بكر رضي الله عنه رسالة لكل مسلم أن الصديق الحقيقي يعرف بالأزمات وتكشفه المحن والكربات، فمن أعان أخاه في الضيق والمحنة استحق الأخوة الصادقة وكان خير رفيق لأخيه ومعين، فالصداقة الحقيقة تعرف بالمواقف الصعبة والمحن المتتالية لأجل ذلك قيل في الحكمة: (الصديق من

صَدَقَك لا من صَدّقك). وكما قال الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه: إنَّ أخاكَ الحقَّ من كان مَعَك *** ومَـنْ يضـرُّ نفسَـه لينفَعَكْ ومَنْ إذا ريَبُ الزمانِ صَدَعكْ *** شتَّتَ فيـه شَمْلَـهُ لِيَجْمَعَـكْ

رابعا: مكانة المسجد الأقصى المبارك. بما أن حديثنا عن الإسراء والمعراج فحري بنا أن نتحدث عن مسجدنا الحبيب الذي تعلقت به قلوب المؤمنين وتاقت إليه أرواح العابدين، وسطرت رحلة الإسراء والمعراج مكانته العظيمة وموقعه الكبير في التاريخ الإسلامي، فقد اختار الله عز وجل لرسوله صلى الله عليه وسلم أن يرحل إلى المسجد الأقصى المبارك من مكة المكرمة ثم يعرج إلى السماء، وطريق الرحلة هذه اختارها الله عز وجل ليدلل لنا على مكانة بيت المقدس وفضل المسجد الأقصى المبارك الذي كان قبلةً أولى للمسلمين قبل المسجد الحرام، والذي يعتبر من أقدم المساجد التي بنيت على الأرض فهو ثاني المساجد بناءً بعد الكعبة المشرفة، وثالث المساجد مكانة وأجراً بعد المسجد الحرام والمسجد النبوي. وكما أن الله تعالى ربط أبا الأنبياء إبراهيم عليه السلام بالبيت الحرام، ربط رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم روحياً ودينياً ببيت المقدس عن طريق جعله قبلة للمسلمين وبإمامته للأنبياء والمرسلين فيه، وذكره كأرض مباركة ومقدسة في أكثر من أية قرآنية وبعدها جاء التأكيد المادي للربط عن طريق هذه الرحلة.

دعوة أهل الطائف خرج رسول الله -صلّى الله عليه وسلّم- من مكّة مُتوجّهاً إلى الطائف في شهر شوّال من السنة العاشرة للبعثة؛ ليدعو أهلها إلى الإسلام، وتوحيد الله، ورافقه في تلك الرحلة زيد بن حارثة، وكان يدعو كلّ قبيلةٍ يمرّ بها أثناء سَيره، إلّا أنّهم رفضوا دعوته، كما رفضها أهل الطائف، وبقي فيها عشرة أيّامٍ إلى أن طردوه، وتَبِعَه السفهاء منهم، وضربوه بالحجارة، وسبّوه، فتصدّى لهم زيد بن حارثة، ووقف أمام رسول الله يحميه حتى ضُرِب في رأسه، وسارا حتى وصلا إلى حائطٍ لعتبة بن ربيعة، وأخيه شيبة، فجلس رسول الله تحت شجرة عنبٍ يستظلّ بظلّها، ودعا ربّه، فرقّ له قلبا عتبة وشيبة، فأرسلا له قُطفاً من العنب مع غلام نصرانيّ يُدعى عدّاس، فتناوله رسول الله، وبدأ بأكله، قائلاً: "باسم الله"، فسأله عدّاس عمّا قاله مُتعجّباً أنّ كلامه لا يصدر من أهل ذاك المكان، فسأله الرسول عن أصله ودينه، فأخبره أنّه من أهل نينوى، وأنّه يعتنق النصرانيّة، فعرف رسول الله أنّ نينوى هي بلاد نبيّ الله يونس -عليه السلام-، فتعجّب الفتى وسأله عن صِلته بيونس، فقال رسول الله: "ذاك أخي، كان نبياً وأنا نبي"، ثمّ أخذ عدّاس يُقبّل يَدَي رسول الله وقَدمَيه، وقال لابنَي ربيعة إنّ الرسول أخبره بما لا يعلم به إلّا نبيّ، فلاموه وعاتبوه؛ لرجوعه عن النصرانيّة، وفي طريق عودة رسول الله من الطائف أرسل الله إليه جبريل؛ يستأذنه بأن يُطْبِق على أهل مكّة الجبلَين، إلّا أنّ رسول الله رفض ذلك؛ آملاً أن يستجيب أحدهم لدعوته.

دعوة القبائل العربيّة كان رسول الله حريصاً على استغلال موسم الحجّ في دعوة القبائل العربية إلى الإسلام، وكان يتحرّى أماكن تجمُّع الحجّاج، كالأسواق، مثل: سوق عُكاظ، وسوق مجنّة، وسوق ذي المجاز، ومع كلّ الجهد الذي بذله رسول الله في ذلك، إلّا أنّه لم تستجب أيّ قبيلةٍ لدعوته، وكانوا يردّون عليه بأسوأ ما عندهم، ويُؤذونه؛ حيث كان يدعو القبائل واحدةً واحدةً؛ حيث كان يخبر كلّ واحدةٍ منها أنّه رسولٌ من عند الله، ثمّ يدعوهم إلى عبادة الله -تعالى-، والابتعاد عن الشرك، وعن عبادة ما سواه، وأن يصدّقوه، ويحموه، إلّا أنّهم رفضوا دعوته، وعاندوه، وأصرّوا على ما هم عليه

بعد أن جهر الرسول صلى الله عليه وسلم بالدعوة اشتدّ عليه أذى المشركين فناصبوه العداء بوسائل مختلفة منها: الافتراءات الكاذبة والتهم الباطلة فوصفوه بأنه ساحر وأنه مجنون وأنه كاهن. وكذلك طعنوا في القرآن الكريم فقالوا إنه أساطير الأولين. وكذلك اشتدّ العذاب على المسلمين فأمرهم صلى الله عليه وسلم بالهجرة إلى الحبشة لأنْ فيها ملكاً لا يُظْلَم عنده أحدٌ فكانت الهجرة إلى الحبشة.

بيعة العقبة الأولي والثانية:

لقاء النبي * نفر من الأنصار :

بدء إسلام الأنصار:

خرج رسول الله ل في الموسم، فبينما هو عند العقبة، إذ لقي رهطا من الخزرج من الأنصار، فدعاهم إلى الله عزّ وجلّ، وعرض عليهم الإسلام، وتلا عليهم القرآن.

وكانوا جيران اليهود في المدينة، وكانوا يسمعونهم يخبرون بنيّ قد أظلّ زمانه، فقال بعضهم لبعض: يا قوم**!**

تعلمون والله أنّه النبيّ الذي توعّدكم به اليهود، فلا يسبقنّكم إليه، فأجابوه، وصدّقوه، وقالوا: إنا قد تركنا قومنا، ولا قوم بينهم من العداوة والشرّ ما بينهم، فعسى أن يجمعهم الله بك، فسنقدم عليهم، فندعوهم إلى أمرك، ونعرض عليهم الذي أجبناك إليه من هذا الدين، فإن يجمعهم الله عليه فلا رجل أعزّ منك .

وانصرفوا راجعين إلى بلادهم، وآمنوا، وصدّقوا، فلمّا قدموا المدينة ذكروا لإخوانهم رسول الله ل ودعوهم إلى الإسلام، حتّى فشا فيهم، فلم تبق دار من دور الأنصار إلا وفيها ذكر من رسول الله وهؤلاء الستة هم:

ستة نفر من الأنصار كلهم من الخزرج، وهم: أبو أمامة أسعد بن زرارة، وعوف بن الحارث ((ويقال له:

عوف بن عفراء))، ورافع بن مالك، وقطبة بن عامر، وعقبة بن عامر، وجابر بن عبد الله بن رئاب".

بيعة العقبة الأولى:

اتصل هؤلاء برسول الله ﷺعند العقبة بمنى، فبايعوه بيعة النساء، أي وفق بيعتهن التي نزلت عند فتح مكة.

روى البخاري عن عبادة بن الصامت أن رسول الله ل قال: تعالوا: ((بايعوني على أن لا تشركوا بالله شيئا، ولا تسرقوا، ولا تزنوا، ولا تقتلوا أولادكم، ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم، ولا تعصوني في معروف، فمن وفى منكم فأجره على الله، ومن أصاب من ذلك شيئا فعوقب به في الدنيا فهو له كفارة، ومن أصاب من ذلك شيئا فستره الله، فأمره إلى الله، إن شاء عاقبه، وإن شاء عفا عنه.

قال: فبايعته- وفي نسخة فبايعناه - على ذلك)) .

سفير الإسلام في المدينة (مصعب بن عمير

وبعد أن تمت البيعة وانتهى الموسم بعث النبي ل مع هؤلاء المبايعين أول سفير في يثرب، ليعلم المسلمين فيها شرائع الإسلام، ويفقههم في الدين وليقوم بنشر الإسلام بين الذين لم يزالوا على الشرك، واختار لهذه السفارة شابا من شباب الإسلام من السابقين الأولين، وهو مصعب بن عمير العبدري . فكان يستى "المقرىء" بالمدينة ونزل على أسعد بن زرارة، وكان يصلّي بهم فقام بمهمته خير قيام وانتشر على يديه الإسلام، ورجع إلى مكة قبل حلول موسم الحج التالي ، يحمل إلى رسول الله بشائر الفوز، ويقص عليه خبر قبائل يثرب، وما فيها من مواهب الخير، وما لها من قوة ومنعة.

بيعة العقبة الثانية:

وعن هذه البيعة ما جرى فيها روى كعب بن مالك الأنصاري- وهو أحد المبايعين في العقبة الثانية - قال: "خرجنا في حجاج قومنا من المشركين، وقد صلينا وفقهنا ... ثم خرجنا إلى الحج، وواعدنا رسول الله العقبة من أوسط أيام التشريق ... وكنا نكتم من معنا من المشركين أمرنا ... فنمنا تلك الليلة مع قومنا في رحالنا، حتى إذا مضى ثلث الليل خرجنا من رحالنا لميعاد رسول الله، نتسلل تسلل القطا ستخفين، حتى اجتمعنا في الشعب عند العقبة، ونحن ثلاثة وسبعين رجلاً، ومعنا امرأتان من نسائنا:

نسيبة بنت كعب .. ، وأسماء بنت عمرو ... فاجتمعنا في الشعب ننتظر رسول الله ل حتى جاءنا ومعه العباس ابن عبد المطلب - وهو يومئذ على دين قومه، إلا أنه أحب أن يحضر أمر ابن أخيه ويتوثق له - فلما جلس كان أول متكلم العباس بن عبد المطلب "فبين أن الرسول في منعة من قومه بني هاشم ولكنه يريد الهجرة إلى المدينة، ولذلك فإن العباس يريد التأكد من حماية الأنصار له وإلا فليدعوه. فطلب الأنصار أن يتكلم رسول الله فيأخذ لنفسه ولرب

ه ما يحب من الشروط.

"فتكلم رسول الله ﷺ فتلا القرآن، دعا إلى الله ورغب في الإسلام، ثم قال: أبايعكم على أن تمنعوني مما تمنعون منه نساءكم وأبناءكم.

فأخذ البراء بن معرور بيده ثم قال: نعم والذي بعثك بالحق، لنمنعنك مما نمنع منه أزرنا فبايعنا يا رسول الله، فنحن والله أهل الحرب، وأهل الحلقة، ورثناها كابرا عن كابر" فقاطعه أبو الهيثم بن التيهان متسائلا:

"يا رسول الله إن بيننا وبين القوم حبالا وإنا قاطعوها (يعني اليهود) فهل عسيت إن نحن فعلنا ذلك، ثم أظهرك الله أن ترجع إلى قومك وتدعنا؟ فتبسم رسول الله لا ثم قال: بل الدم بالدم وانهم بالمدم، أنا منكم وأنتم مني، أحارب من حاربتم، وأسالم من سالمتم".

ثم قال: أخرجوا إلي منكم اثني عشر نقيبا ليكونوا على قومهم بما فيهم. فأخرجوا منهم اثني عشر (١٢) نقيباً، تسعة من الخزرج وثلاثة من الأوس".

وقد طلب الرسول ل منهم الانصراف إلى رحالهم، وقد سمعوا الشيطان يصرخ منذرا قريشا، فقال العباس بن عبادة بن نضلة: والله الذي بعثك بالحق، إن شئت لنميلن على أهل منى غدا بأسيافنا. فقال رسول الله : ((لم نؤمر بذلك، ولكن ارجعوا إلى رحالكم)).

فرجعوا إلى رحالهم، وفي الصباح جاءهم جمع من كبار قريش، يسألونهم عما بلغهم من بيعتهم للنبي ودعوتهم له للهجرة، فحلف المشركون من الخزرج والأوس بأنهم لم يفعلوا والمسلمون ينظرون إلى بعضهم!. وهكذا مرت البيعة بسلام وعاد الأنصار إلى المدينة ينتظرون هجرة النبي * إليهم بتلهف كبير.

المصادر :

سيرة ابن هشام لعبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري توفي سنة 218 ه

الصحيح من سيرة النبي الأعظم لرجل الدين والمؤرخ جعفر مرتضى العاملي توفي سنة 2019 م

الر حيق المختوم لصفي الرحمن المبار كفوري توفي سنة 1427 ه